مكتبتنا العربية
٩٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الحديث الديني

الذى ألقاه حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر
شيخ الجامع الأزهر فى قصر رأس التين العامر
فى ٤ من رمضان ١٣٦٨

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد النبي الكريم ، وعلى آله وأصحابه أجمعين . قال الله تعالى وهو أصدق القائلين :

« قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ، إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ، فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ، أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ، الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ » .

قال الفاروق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أنزل عليه الوحى يسمع عند وجهه كدوى النحل ، فأنزل عليه يوما فلبثنا ساعة ثم سُرّى عنه ، فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال : اللهم زدنا ولا تنقصنا ، وأكرمنا ولا تهنا ، وأعطنا ولا تحرمنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وأرضنا

مكتبتنا العربية

وارض عنا !. ثم قال : أنزل علىّ عشر آيات من أقامهن دخل الجنة . ثم قرأ « قد أفلح المؤمنون . . . » حتى ختم عشر آيات » .

وهذه الآيات العشر جمعت خلال الخير ، وخصال البر ، واشتملت على أمهات الفضائل وجلائل الأعمال ، وهى مناسبة تمام المناسبة لآخر السورة التى قبلها وهى سورة الحج ، إذ يقول الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم ، وافعلوا الخير لعلكم تفلحون . وجاهدوا فى الله حق جهاده ، هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ، ملة أبيكم إبراهيم ، هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ، ليكون الرسول شهيدا عليكم ، وتكونوا شهداء على الناس : فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم ، فنعم المولى ونعم النصير » .

ففى خواتيم سورة الحج كان الرجاء من الله بالفلاح والفوز والرغبة فى توقع الإجابة ، فجاء أول سورة المؤمنين مجيبا رغبتهم ، ومحققا رجاءهم ، ومبشرا لهم بحصول ما كانوا يتوقعون .

وهذا المعنى مستفاد من كلمة « قد » الداخلة على الفعل الماضى ، فإنها فى مثل هذا التركيب تكون جوابا لمستخبر يتوقع الفعل الذى بعدها ويرجوه .

وأفلح : فاز بالمرام ونجا وسعد وظفر ، وقد عبر بالماضى وأكد بقد فقال « قد أفلح » للدلالة على أن فوز هؤلاء المتصفين بهذه الصفات ونجاتهم وسعدهم وظفرهم ، كل ذلك حاصل لا محالة .

والمؤمنون : المتصفون بالإيمان ، والإيمان : هو التصديق الجازم ، المقترن بإذعان النفس وقبولها واستسلامها ، بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد بينت السنة النبوية ما يجب الإيمان به : قال الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديدُ بياض الثياب ، شديدُ سواد الشعر ، لا يُرَى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فأسند ركبتيه الى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ، وقال : يا محمد أخبرنى عن الإسلام . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت

مكتبتنا العربية

اليه سبيلا . قال : صدقت . فعجبنا له يسأله ويصدقه . قال : فأخبرنى عن الإيمان . قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره . قال : صدقت . قال : فأخبرنى عن الإحسان . قال : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك . ثم قال لى : يا عمر أتدرى من السائل ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم » .

قال تعالى : « الذين هم فى صلاتهم خاشعون » :

الخشوع : الخوف والتذلل والخضوع . والخاشعون فى الصلاة هم الخاضعون لله الخائفون منه ، الذين يخشونه بقلوبهم . وإن من خواص الصلاة الصبر ، ونفى الجزع ، والنهى عن الفحشاء والمنكر : فالمصلى الحقيق هو البار الحقيق الذى لا يترك الحق لأجل شهوة ، وهذا هو أثر صلاة الخاشعين .

وإن فى تقدم وصف المؤمنين بالخشوع فى الصلاة على سائر ما سيذكر بعد ، تنويها بشأن الخشوع فى الصلاة : قال الله تعالى « إنما المؤمنون الذين إذا ذُكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا ، وعلى ربهم يتوكلون ، الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، أولئك هم المؤمنون حقا ، لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم » .

قال تعالى : « والذين هم عن اللغو معرضون » :

اللغو : هو الباطل ، واللهو ، وما لا يحمد من القول والفعل . والإعراض : الترك ، ومن ذلك ألاّ ينم الشخص على أخيه ولا يغتابه ، ولا يقول فيه مايؤذيه ، ولا يرضى بشىء من ذلك .

عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : « كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر ، فأصبحت يوما قريبا منه ونحن نسير ، فقلت : يارسول الله أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى عن النار . قال « لقد سألتنى عن عظيم وإنه يسير على من يسّره الله عليه : تعبد الله ولا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت » ، ثم قال « ألا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جُنة ، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار ، وصلاة الرجل فى جوف الليل شعار الصالحين » ثم تلا « تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعُون ربهم خوفا وطمعا

مكتبتنا العربية

ومما رزقناهم ينفقون . فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » ثم قال « ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه » ؟ فقلت بلى يا رسول الله ، قال « رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد » ثم قال « ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ » قلت بلى يا نبي الله . فأخذ بلسانه وقال « كف عليك هذا » فقلت : يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فأجاب بقوله « وهل يكب الناس فى النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم » ! .

وإذا كان كف اللسان لازما فى جميع الأوقات فهو ألزم فى الصيام : يقول النبي صلى الله عليه وسلم « قال الله تعالى : كل عمل ابن آدم له إلا الصيامَ فإنه لى وأنا أجزى به ، والصيام جُنة ، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ، فإن سابّه أحد أو قاتله فليقل : إنى امرؤ صائم ، والذى نفس محمد بيده لخَلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ! . للصائم فرحتان يفرحهما : إذا أفطر فرح ، وإذا لقى ربه فرح بصومه » وقال صلى الله عليه وسلم « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » .

قال تعالى : « والذين هم للزكاة فاعلون » :

الزكاة فى الإسلام : نظام مالى اجتماعى حدد العلاقة بين الأغنياء والفقراء ، فأوجب فى أموال المسلمين التى تحتمل المواساة مقدارا معينا يؤخذ من أغنيائهم فيرد على فقرائهم . والزكاة : نظام اقتصادى يكفل العدالة الفردية والعدالة الاجتماعية ، وهو نظام وسط بين مذهبين متغالبين يمثلان طرفى الإفراط والتفريط : رأسمالية قاسية جامدة ، وشيوعية إباحية ملحدة .

غلت « الرأسمالية » فى تقديس المادة وجمع المال وعبادة الدرهم والدينار ، وغلت « الشيوعية » فيما سمته العدالة الاجتماعية ، وتظاهرت بالعطف على الفقراء فألغت الملكية الفردية وحرمت الجدّ من كده وتعبه ، وحاربت السنن الكونية فى طبيعة الوجود . فمنذ بدء الخليقة يوجد فى الناس القوى والضعيف ، والكسوب والعاطل ، والعالم والجاهل ، والنابه والخامل ، والصحيح والمريض : وبمقدار تفاوتهم فى الصفات يتفاوتون فى الغنى والفقر ، والرزق والكسب ، وفى المعيشة ومتع الحياة ؛ فمن حاول التسوية بينهم فقد حارب الطبيعة ورام المستحيل ، وخالف

سنة الله فى خلقه . يقول الله تعالى « ولاتتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض؛ للرجال نصيب مما اكتسبوا ، وللنساء نصيب مما اكتسبن ، واسألوا الله من فضله ، إن الله كان بكل شىء عليما » ويقول عز وجل « والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق ، فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء ، أفبنعمة الله يجحدون » . ويقول سبحانه « أهم يقسمون رحمة ربك ، نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ، ورحمة ربك خير مما يجمعون » .

لا شك بعد هذا فى أن الشيوعية ما هى إلا إباحية مطلقة ، ولا دينية مغلقة ، بخلاف العدالة الاجتماعية . فليتدبر المسلمون ذلك ، وليعرفوه ، وليحذروا كيد الكائدين ؛ وليعلموا أن نظام الصدقة العامة ، والمواساة المشروعة فى الإسلام نظام يكفل العدالة الاجتماعية بأقصى معانيها متى أحسن العمل به ، وقام كل مسلم بواجبه .

فها هى ذى مظاهر المواساة فى الإسلام واضحة جلية فى الزكوات المفروضة ، والكفارات الواجبة ، والصدقات المتنوعة .

قال الله تعالى : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » وقال عز شأنه : « وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه وهو خير الرازقين » وقال جل وعلا « مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء ، والله واسع عليم » وقال سبحانه « يأيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ، ولاتيمموا الخبيث منه تنفقون ، ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه ، واعلموا أن الله غنى حميد » . وقال جل وعلا : « إن تبدوا الصدقات فنعما هى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم » . وقال عز من قائل « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ،

والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » . وقال تعالى : « ومن يوقَ شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم ؛ حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » . وقال صلى الله عليه وسلم « ما من يوم يصبح الناس فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقا خلفا ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكا تلفا » . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أطعم جائعا أطعمه الله من ثمار الجنة ، ومن سقى مؤمنا على ظمأ سقاه عز وجل يوم القيامة من الرحيق المختوم ، ومن كسا مؤمنا عاريا كساه الله من خضر الجنة » وقال ابن عباس رضى الله عنهما « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير ، وكان أجودُ ما يكون فى رمضان » .

اللهم وفقنا وإخواننا المسلمين الى صالح الأعمال ، حتى ننال كمال رضاك . اللهم زدنا ولا تنقصنا ، وأكرمنا ولا تهنا ، وأعطنا ولا تحرمنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وأرضنا وارض عنا .

اللهم اشمل بعونك ورعايتك ، المؤيدَ بكلمتك ، المخلص فى طاعتك ، مولانا صاحب الجلالة الملك الصالح الموفق « فاروقا الأول » .

اللهم كما أحسنَ الى دينك وكنانتك فأحسن إليه ، وانصره نصرا مؤزرا ، اللهم أحيه حياة طيبة مباركة تعم بنفعها العباد والبلاد .

اللهم يا واسع الفضل والإحسان نسألك أن تتغمد برحمتك ورضوانك الراحل الكريم ، مولاى الملك العظيم صاحب الجلالة المغفور له الملك « فؤاداً الأول » . اللهم اجعله فى أعلى عليين مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

اللهم وفق رجال حكومة جلالة الملك الى ما فيه الخير العميم ، إنك سميع مجيب . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الحديث الديني

الذى ألقاه حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير
الشيخ عبد الرحمن حسن وكيل الجامع الأزهر
فى قصر رأس التين العامر مساء ١٨ رمضان سنة ١٣٦٨

بسم الله الرحمن الرحيم . قال الله تعالى :

« وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ ، وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِى سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ . وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللهُ ، هُوَ الَّذِى أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ، لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ، إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » .

ما تشتمل عليه الآيات من الأحكام

(١) ناقضو العهد وما يجب نحوهم . (٢) نبذ العهد عند توقع الخيانة . (٣) وجوب إعداد الأمة كل ما تستطيعه من قوة لقتال أعدائها . (٤) فرق الفرسان وأثرها فى الحرب . (٥) الحرب الإرهابية وأثرها فى حماية المسلمين . (٦) الإنفاق فى سبيل الله ـ أثره فى تكوين الأمة ـ الجزاء عليه . (٧) الإسلام دين السلام ـ طلب السلم خداعا ـ ائتلاف القلوب وأثره فى قوة الأمة ـ تفرق الكلمة وأثره .

معنى المفردات

« تثقفنهم » : أى تغلبهم وتظفر بهم . « فشرد بهم » أى نكل بهم . « يذكرون » : أى يحذرون أن ينقضوا العهد . « وأعدوا » الإعداد : اتخاذ الشيء لوقت الحاجة . « رباط الخيل » : يعنى حبسها واقتناؤها ، أو هو اسم للخيل التى تربط فى سبيل الله ، فهو فعال بمعنى مفعول . « وإن جنحوا » : الجنوح الميل ، ومنه قيل للأضلاع جوانح لأنها مالت على الحشوة . والسلم والسلام : هو الصلح ، والسلم مؤنث كمقابله « الحرب » . وقرأ الأعمش وأبو بكر وابن محيصن والمفضل « للسِّلم » بكسر السين ، والباقون بالفتح . « يخدعوك » : أى يظهرون السلم ويبطنون الغدر والخيانة . « حسبك الله » : حسب تستعمل بمعنى الكفاية التامة أى كافيك أمرهم من كل وجه .

التفسير

فى الآيات السابقة على هذه الآيات ذُكر فريقان ممن كانت بينهم وبين النبى صلى الله عليه وسلم عهود ومواثيق . فمن نكثوا العهد وتكررت خيانتهم أوجب الله ضربهم والتنكيل بهم نكالا يفرق غيرهم ممن خلفهم حتى لا يجرؤ معاهد على الخيانة ونقض العهد ، وهم الذين ذكرهم الله تعالى فى قوله « الذين عاهدتَ منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لا يتقون . فإما تثقفنّهم فى الحرب فشرِّد بهم مَن خلفهم لعلهم يذّكرون » .

وفريق صاروا غير مأمونين ، وخيانتهم متوقعة ؛ وهؤلاء أمر الله بقطع طريق الخيانة عليهم بإعلامهم بفسخ العهد حتى يكونوا على علم بأنهم أصبحوا فى حالة حرب مع المسلمين ، ولكن لا تجوز مفاجأتهم بالحرب قبل إعلامهم بفسخ العهد . وقد ذكرهم الله فى قوله « وإمّا تخافنّ من قوم خيانةً فانبذْ إليهم على سواء ، إن الله لا يحب الخائنين » .

بعد هذا بين الله للمسلمين ما يجب أن يكونوا عليه من القوة والمنعة حتى لا يجرؤ أمثال هؤلاء على الخيانة والاستهتار بعهودهم ، ولا يجرؤ غيرهم على انتهاك حرمات المسلمين ، فقال « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل » وهو أمر من الله تعالى للمسلمين بأن يستعدوا لأعدائهم من هؤلاء وغيرهم بكل ما يستطيعون

من قوة . وهو أمر عام لا يختص بزمان ولا بفريق من الناس ؛ لأن الآية محكمة والأمر فيها أبدى دائم .

ولفظ القوة عام فى كل ما يتقوى به على حرب العدو ، وكل ما هو آلة للحرب والجهاد ، من الحصون والقلاع ، وأسلحة البر والبحر والهواء ، على اختلاف أنواعها وأشكالها ، بحسب الأزمنة والأمكنة المختلفة ، ومصانع الذخيرة والأسلحة المختلفة ، وكلّ ما يفيد فى صلاحية الأمة للحرب كإنشاء معاهد لتعليم فنون الحرب ، والإشراف على الصحة العامة ، وتقوية الأجسام ، وغير ذلك مما يجعل الأمة مخوفة مرهوبة الجانب ، وكل ذلك بحسب استطاعة الأمة والقدرة على القيام به .

والرباط فى الآية : اسم للخيل التى تربط فى سبيل الله ، وخُص بالذكر الاستعداد بالخيل مع أن قوله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » يشمله ، لتوجيه النظر الى أهمية الخيل فى الجهاد ، وأن لها شأنا عظيما فى المرابطة بها فى الثغور وحدود البلاد ، لسرعة حركة الفرسان ، وقدرتهم على الكر والفر إذا دهم الوطنَ عدو على غرة .

ولا يزال لفرق الفرسان شأن عظيم فى الحروب برغم المخترعات الحديثة من المدرعات وغيرها .

وقوله تعالى : « تُرهبون به عدو الله وعدوكم » إعلام من الله تعالى للمؤمنين بأن الاستعداد للحرب بكل ما تستطيعه الأمة من قوة هو لإرهاب أعداء الله الذين يعملون على تعطيل الدعوة الى دينه ، وإرهاب أعداء المؤمنين الذين يكيدون لهم ويتربصون بهم الدوائر ؛ لأن هؤلاء الأعداءَ إذا علموا أن المسلمين نشيطون فى دعوتهم الى دين الله ، وأنهم فى ديارهم متأهبون للحرب ، ومستكملون آلاتها وعُدَتها ، خافوهم ورهبوهم ، فلا يُقدمون على مناجزتهم أو قتالهم : فالمقصد الأصلى من التأهب للحرب هو حماية الدعوة الى دين الله ، ودفعُ العدوان عن المسلمين . أما التعدى على الآمنين المسالمين فليس من مقاصد الإسلام ولا مما يجيزه الإسلام . يرشد الى هذا قول الله تعالى « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » أى لا تبدءوا بالعدوان ولا تعتدوا فى القتال

بقتل غير المحاربين من العجزة والشيوخ والنساء والصبيان ومن إليهم ممن لا يحملون السلاح ولا يُمدون الأعداء بالرأى فى الحرب .

اختلف المفسرون فى المراد بالآخرين فى قوله تعالى : « وآخرين من دونهم لا تعلمونهم اللهُ يعلمهم » على أقوال ، ورجح الرازى وابن كثير ما قاله مقاتل وعبد الرحمن بن زيد بن أسلمَ أنهم المنافقون ؛ وقد كانوا موجودين بين المسلمين كما جاء فى قوله تعالى : « وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة ، مَرَدُوا على النفاق لا تعلمهُم نحن نعلمهم » والمعنى حينئذ : استعدوا أيها المسلمون بكل ما تستطيعون من قوة ليَرهَبكم أعداؤكم المعروفون لكم ، وأعداؤكم الذين لا تعرفون أنهم أعداء وهم المنافقون .

وذلك لأن المنافقين فى ظاهر حالهم من المسلمين ، وفى الباطن بخلاف ذلك ، ومن عادتهم تلمس الفتنة ليحتالوا على إشاعتها وإلقاء الإفساد فيما بين المسلمين ، فإذا شاهدوا قوة المسلمين ومالهم من كثرة آلات الحرب ، وما أعدوه من العيون والرَّصد لتعرُّف حال الأعداء ، خافوا وأقلعوا عن هذه الأفعال الذميمة حتى لا ينكشف أمرهم ، وقد صاروا لا مطمع لهم فى أن يغلب المسلمون مع وجود هذه القوة .

والمنافقون وإن كانوا فى الحقيقة أعداءً للمسلمين ، بل هم شر على الأمة من أعدائها الظاهرين ، ولكن تفسير الآية بهم وحدهم لا يظهر مع عموم قوله « وآخرين من دونهم » لأن الآخرين من غير هؤلاء الأعداء المعروفين يشمل الأعداء المستخفين ، ومن لم يعرف من أمرهم شىء وقت نزول الآية ، ولهذا فالراجح حمل الآية على العموم . فقد عُرف أنه بعد أن ظهرت قوة المسلمين بعد واقعة تَبُوكَ أقبلت وفود القبائل من قلب الجزيرة وأطرافها يعلنون إسلامهم إعظاما لهذا الدين الذى تدين به وتحميه أكبرُ قوة فى جزيرة العرب ، ومن غير هؤلاء مَن قبل الدخول تحت سلطان المسلمين مع خراج يؤديه ، وبعض من هؤلاء وهؤلاء لم يكونوا معروفين بأنهم أعداءٌ أو غير أعداء .

ولما كان الإعداد للحرب يحتاج الى البذل والإنفاق ، قال الله تعالى « وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يُوَفَّ إليكم وأنتم لا تُظلمون » وهو حثٌّ من الله

للمؤمنين على الإنفاق فى سبيل الله ، ووعد منه تعالى بأن ما ينفقونه فى هذا السبيل قل أو كثر يُجزون عليه فى الدنيا والآخرة جزاء وافيا .

أما جزاؤهم فى الدنيا فهو ما يصيبهم من خيراتها مع حفظ أمتهم من العدوان الذى قد يمتد أثره إذا كانت الأمة ضعيفة الى التهلكة . ويشير الى هذا قول الله تعالى « وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » والمعنى كما عن ابن عباس رضى الله عنه « لا تهلكوا أنفسكم بأيديكم بترك الإنفاق فى سبيل الله فيغلبَ عليكم العدو » .

وأما جزاؤهم فى الآخرة فقد بينه الله فى قوله « مَثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابلَ فى كل سُنبلةٍ مائة حبةٍ ، والله يضاعِف لمن يشاء ، والله واسع عليم » .

وقال [1] رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفَر الجنةَ : صانعَه الذى يَحتسِب فى صنعته الخيرَ ، والذى يجهز به فى سبيل الله ، والذى يَرمِى به فى سبيل الله » .

وقول الله تعالى « وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله » عام فى الإنفاق فى وجوه الخير التى تفيد الأمة ، قلّت النفقة أو كثرت . فالإنفاق لدفع المرض والفقر والجهل عن الأمة إنفاق فى سبيل الله : لأنه يمكّن الأمة من إعداد جيش قوى يقدر على الدفاع والذود عن حماها . والإنفاقُ لإنشاء مصانع للذخيرة وآلات الحرب إنفاقٌ فى سبيل الله ، وكل نفقة تفيد الأمة فى حيويتها وقوتها هى نفقة فى سبيل الله .

ولما بين الله تعالى ما يجب أن يكون عليه المسلمون من القوة التى ترهب أعداءهم ، خاطب النبى صلى الله عليه وسلم بقوله : « وإن جَنَحوا [2] للسّلم فاجنح لها

---

(١) رواه البيهقى عن عقبة بن عامر « ترغيب ج ٢ ص ١٧٠ » .

(٢) قال ابن عباس ومجاهد وزيد بن أسلم وعطاء الخراسانى وعكرمة والحسن وقتادة : إن هذه الآية منسوخة بآية براءة « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر » وقال ابن كثير : لا نسخ لأن الأمر بقتالهم فى سورة براءة إذا أمكن وأما إذا كان العدو كثيفا فانه تجوز مهادنته كما فى آية « وإن جنحوا » . ونقل الطبرى عن قتادة أنها منسوخة بقوله « فاذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » وعقب على هذا بأن لا نسخ لأن آية التوبة فى بنى قريظة وهم أهل الكتاب وقد أذن الله بمقاتلة أهل الكتاب نظير الجزية ؛ أما « فاقتلوا المشركين » فقد عنى به مشركى العرب .

والصواب عندى أن آيات سورة التوبة - عدا ما كان منها خاصا بأهل الكتاب - خاصة بالمشركين ، وهؤلاء كانوا حربا على العقيدة الاسلامية وهى أساس الدولة . لهذا وجبت محاربتهم بلا مهادنة حتى تزول الوثنية . أما الآية هنا فعامة فيمن عداهم ، فلا نسخ .

وتوكل على الله » . واختصه الله بالخطاب فى هذه الآية لأنه هو القائدُ الأعلى للمؤمنين ، والمرجعُ الأعظم فى أمورهم فى حالة الحرب والسلم .

والمعنى : إذا كنت فى قتال مع أعدائك أو حالة حرب دون قتال ، ومالوا الى السلم والمصالحة فأجبهم إلى ذلك واقبل منهم ، فالإسلام دين السلام . وتوكل على الله بتفويض أمرك إليه ، والركون إلى أنه عون لك على السلامة .

« إنه هو السميع العليم » المطلع على ظاهرهم وباطنهم ولا يخفى عليه من أمرهم ما يخفى عليك .

والتوكل على الله لا يمنع من الاستعداد وطلب الأمور من أسبابها : لأن الله تعالى نظم هذا الوجودَ ورتب فيه الأسباب والمسببات ، والمؤمن المتوكل على الله هو الذى يطلب الأمور من طريق أسبابها الظاهرة ، ويستمد من الله العون والسداد فى الوصول الى الغاية ، وقد كان ذلك هدى الرسول صلى الله عليه وسلم فى غزوة بدر . وإذا لم يعرف المؤمن الأسباب أو لم يهتد الى معرفتها فإنه فيما يقصد إليه يفوض أمره الى الله ، ويطلب منه السلامة ، وأن يهيء له من الأسباب ما يجنبه طريق الزلل .

وإذا طلب الأعداء السلم ولكن ظهر من حالهم أنهم مخادعون وأنهم إنما يقصدون من السلم الاستعدادَ وجمعَ القوى حتى تحين الفرصة فينتهزوها ، فلا يجابون الى ما طلبوا ، لأنه إذا كان ظهور خيانة المعاهدين يدعو إلى نبذ عهدهم ومحاربتهم كما فى الآية السابقة ، فإنه يكون أولى ألا يقبل من الأعداء عهد ينطوى على الغش والخداع .

أما إذا طلبوا السلم ولم يظهر للمسلمين أنهم مخادعون ، فهذا هو الذى عناه الله بقوله « وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله » وهو تصريح بما أشير إليه فى قوله « وتوكل على الله » يعنى أنه تعالى كافيك خداعهم إياك ، لأنه متكفل بإظهار دينه على الأديان ، وأن يجعل كلمته العليا وكلمة أعدائه السفلى « هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم » وهى نعمة عظمى لك من الله تعالى جمع لك فيها بين النصر الربانى وتسخير المؤمنين لك حيث ألف بين قلوبهم ، وجمعها على الإيمان بك ، وجعلهم أمة واحدة متآلفة متعاونة على طاعتك ومناصرتك ومؤازرتك ،

مكتبتنا العربية

بعد أن كانوا أعداء ، وبينهم إحَنٌ وأحقاد متوارثة ، وحروب كادت تأتى عليهم . « لو أنفقت مافى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم » « ولكن الله » الذى بيده ملكوت كل شىء « ألف بينهم » بهدايتهم الى نور الإيمان ، وبعزته وحكمته جعلهم أمة واحدة قوة لهذا الدين ، إنه عزيز حكيم .

وفى هذه الآية إرشاد من الله تعالى الى أن ائتلاف قلوب المؤمنين واتفاق كلمتهم على خير الجماعة الإسلامية ركن أساسى فى بناء الجماعة الإسلامية وقوتها وعزتها . أما التنازع واختلاف الكلمة وتفرق القلوب فهو مدعاة للفشل والخيبة ، وقد أنذر الله تعالى به المؤمنين فى قوله « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهبَ ريحُكم » أى تذهب قوتكم فيظهر عدوكم عليكم .

اللهم إياك نعبد وإياك نستعين ، اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم .

اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ، ولا تنزع منا صالح ما أعطيتنا .

اللهم إنا نسألك وأنت العلى القدير أن تحفظ حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك « فاروقا » الأول .

اللهم أنت تعلم أنه قد أوفى على الغاية فى الحدَب على أمته ، وجاهد بنفسه وماله فى سبيل مجدها وعزتها ، وأنار الطريق للعاملين ، فكان للشيوخ قوة ، وللشباب حكمة ورشدا ، يقودهم إلى الخير ، ويوجههم إلى طريق الفلاح .

اللهم إنك تعلم أنه لم يدخر وسعاً فى سبيل مجد العروبة ، وأنه هو قبراسها الذى تستضىء به إذا ادلهمت الأمور ، واضطربت الغايات .

اللهم اجزه عنّى ما عمل ويعمل خير الجزاء ، ووفقه لصالح الأعمال وأنماها بركة ، واجعله للإسلام عزا ، وللعروبة قوة ، وللأمة فخرا ومجدا .

اللهم ألف بين قلوبنا حكومة وشعبا ، واجمع كلمتنا على خير مصر ، إنك نعم المولى ونعم النصير .

مكتبتنا العربية

وزير المعارف الرجعى

لكل سؤال يا بثين جواب

لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمود أبو العيون
السكرتير العام للجامع الأزهر

نشرت الأهرام ذات يوم من أغسطس الماضى أن معالى وزير المعارف حذف تعليم الرقص التوقيعى من المدارس ، وعاقب بعض المدرسات بالفصل ، ومنع بعض الطالبات الجامعيات من رحلتهن إلى أسبوع إيطاليا الرياضى مع الطلبة الجامعيين ، وكذلك منع البعثات النسوية إلى أوروبا . ولم يمض يومان حتى تطوعت إحدى السيدات فنقدت هذا القرار نقدا لاذعا ، واتهمت وزير المعارف بالرجعية . وبعد نشر مقالتها بيومين صدر الأهرام وفيه مقال تحت عنوان (وزير المعارف الرجعى) لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمود أبو العيون سكرتير عام الأزهر ، لا نستطيع أن نصفه بأقل من أنه أحسن ما يمكن أن يقال فى هذا الباب . فقد امتاز بجمال الديباجة ، وبلاغة العبارة ، والإبداع فى الأداء . هذا فضلا عن أنه يرمى إلى غرض اجتماعى خطير يجب التنويه به ، وتتبع كل ما يقال فيه . ولذلك آثرنا أن ننقله ليبقى ذخراً علمياً وأدبياً مدى الدهر .

وها هو ذا بنصه :

وزير المعارف رجعى وآثم ، لماذا ؟ لأنه ، أولاً ـ فصل مدرسة بجرة قلم ، وبدون تحقيق ؛ وثانيا ـ حرم فتيات جامعيات من حقهن فى الاشتراك مع الطلاب فى رحلة الجامعيين إلى أسبوع إيطاليا الرياضى ، وأخرجهن من الركب فى اللحظة الأخيرة ، كما استقر رأيه على منع الرحلات والبعثات النسوية إلى أوربا ، رياضية كانت أم دراسية ؛ وثالثا ـ لم يكتف معالى وزير التربية بهذا الحرمان يعاقب به

المصريات فى ميدان الثقافة الخارجية ، بل أمر بمنع دروس الرقص التوقيعى الرياضى فى مدارس البنات .

هذه هى الأخطار الجسيمة التى تورط فيها وزير المعارف ، وهذه هى الرجعية القاتمة التى ارتكبتها وزارة التربية الوطنية والتعليم ، والوزارة التى يسميها الرجال « وزارة المعارف » كذا قيل ! .

هذه هى الرجعية ، وهذه هى محنة المرأة فى عهد أحمد مرسى بدر وزير المعارف .

هذه هى السابقة الخطيرة التى كان يجب عليه أن يراجع نفسه فيها قبل الإقدام عليها .

واسوءتاه ! فى أى بلد نعيش ؟ وإلى أى دين ننتسب ؟! إننا نعيش فى مصر ، ومصرُ بلد شرقية محافظة ، لها تقاليدها الصالحة ، وعاداتها القديمة المحببة ، ولا يزال فيها حياء موفور ، وخُلق طيب موروث ؛ وننتسب إلى خير دين سماوى ، رسالته تطهير البشرية من أوضار الحياة وشرور المجتمع ، وتربيةُ النفوس ، وتنقية الضمائر على أساس العقل الصحيح .

هذا هو البلد الذى نعيش فيه ، وهذا هو الدين الذى ندين به ونعتنقه ؛ فإذا كان الله قيض لوزارة التربية الإسلامية رجلا يفهم رسالة الدين ، وهى تربية الخُلق ، وصيانة العرض ، وحماية الفضيلة ، ويعمل على تطهير المؤسسات العلمية للناشئة من عوامل الفساد ، ويقضى على عناصر التدهور والانحلال ـ إذا قيض الله لهذا البلد ، ولهذا الدين مثل هذا الوزير المصلح الغيور ، نقول : إنه رجعى وآثم ... !

أعمد وزير المعارف إلى فصل المُدرّسة التى رقصت أمام طلبة الهندسة فى القطار المسافر بغير تحقيق من مراقب التعليم ؟ أمنع اشتراك الفتيات الجامعيات مع الطلبة الجامعيين فى الرحلة إلى أسبوع إيطاليا الرياضى ارتجالا ، وبدون رجوع إلى تقارير الوزارة فى مثل هذه الرحلات ، وجنايتها على أخلاق الفتيات الناشئات الغريرات ؟! .

ثم هل حرم ذلك الوزير الحازم البعثات النسوية إلى أوربا عبثا ، أو قوة واقتداراً ؟ لا ورب الكعبة ! ولا أريد فى هذا المقال ، ولا ينبغى أن أذكر شيئا مما تضمنته تقارير مكاتب البعثات فى الخارج من بعض الوقائع ، مما يشين ويعرّ .

مكتبتنا العربية

ولا يصح فى الأذهان أننا نرى فوهات الخطر فاغرة أمامنا ، ثم نقدم عليها طواعية واختيارا لنتردى فى بوائقها ومهلكاتها : لأى شىء ؟ للتقليد الغربى فحسب ! وإذا أحجمنا ، وإذا نصحنا ، وإذا قلنا الحق ، قالوا : رجعيون ، ومحنة للمرأة قاسية ، والرجال يظلمون النساء ، وسمعة المرأة فى الميزان ، وكرامة المرأة فى خطر ، ثم الرقص التوقيعى ، وقصته لا تنتهى ولا تفرغ ..!

فى وزارة صدقى باشا الأولى أنشىء معهد التمثيل الأول ، وكان فى برنامجه الرقص التوقيعى ، فاعترضنا على هذا النوع من الرقص فى جريدة الأهرام الغراء ، فكان بيننا وبين بعض رجال وزارة المعارف حينذاك نضال وكفاح فى عهد وزارة مراد سيد أحمد باشا ، ورئى فى ذلك العهد إحالتنا على مجلس تأديب ، لأننا هيجنا الرأى العام على وزارة المعارف بجريدة الأهرام ؛ وانتهى بتقليد حلمى عيسى باشا وزيرا للمعارف ، فقضى بجرة قلم على معهد التمثيل ، بما فيه الرقص التوقيعى ، فاسترحنا واستراحت ركابنا !.

انتقل الرقص التوقيعى إلى مدارس البنات ، وأقيمت له معارض رياضية سنوية تتخللها الفضائح والمناقص ، وصراخ المتدينين ، واحتجاج ذوى الغيرة على تلك الفضائح والمناقص ، حتى جاء السنهورى باشا ، وصرح لنا بأنه لا يقام فى عهده عرض رياضى للبنات ، ووفى بعهده ، فكان ذلك من محاسن عهده .

وأنواع الرياضة البدنية كثيرة ، فلم نتمسك بالرقص التوقيعى بذاته ، ولمَ يصور وزير المعارف بهذه الصورة الرجعية القاتمة ؟ ! لأنه ألغاه ؟

علموا البنات ما شئتم من الرياضة داخل المدارس ، ولا تخرجوهن إلى الشارع ، فهناك الخطر كل الخطر .

ونحن لا يسعنا إزاء هذه الخطوة الموفقة من معالى الوزير الفاضل إلا أن نزجى له عظيم شكرنا واغتباطنا ؛ وإلا أن نرجوه مخلصين أن يستمر فى هذه الحملة المطهرة حتى تعود الأمور إلى وضعها الذى يرضاه الدين ، ويقره العقل السليم .

هل فى الالحاد مادة للبقاء

ليس للملحدين دليل يعتمدون عليه

قلبنا مذهب الملحدين على كل وجه فلم نصادف فيه مادة للبقاء ، فهو ليس يعتمد على العقل ولا على الحس ولا على الشعور . فالعقل يأباه لأنه ينفى الموجد ، والعقل المجرد يقرر أن كل موجود لا بد له من موجد . ولأجل أن يتخلص المادى من هذا المأزق الحرج ، يزعم أن الكون لا أول له ، وليس به حاجة لموجد يوجده ، منكرا هنا حصة العقل أيضا من ضرورة تعليل وجود كون متنوع الكائنات والقوى ، ومتباين الموجودات والنواميس ، وآخذ فى الارتقاء والتكمل ، وُجد من الأزل بغير أن يكون له صانع مدبر يوجده ويدبره .

هنا يكر علينا المادى فيشهر علينا سلاحنا نفسه قائلا : وكيف تدركون وجود صانع على ما تصفونه من العظمة والقدرة والإبداع من الأزل ، ألسنا وإياكم سواء فى هذا الأمر ؟

نقول : لا ، والفوارق بيننا لا تقدر ، وإليك البيان :

فما دمتم تشعرون بضرورة وجود شيء بدون موجد من أزل الآزال ، فالعقل لا يستطيع أن يتصوره جمادا ، لأن الجماد ميت ، لا حراك به ، ويبقى على ما هو عليه حتى تجيئه قوة تحركه ، وأين هى وليس فى الوجود غيره ؟

ولكن العقل يستطيع أن يتصور وجود إله أزلى أبدى لا يدرك كنهه العقل ، ولا تحد قدرته بحد ، يوجد المادة ويتصرف فيها على ما يقتضيه علمه وتدبيره وحكمته ، وهو متصف بجميع صفات الكمال ؛ ثم هو إن كان لا يُدرك كنهه بالعقل فذلك لأنه فوق مرتبة الموجودات .

فالإدراك إذا اضطر أن يبحث فى أصل الوجود ، وهو مضطر إلى ذلك كل الاضطرار بحكم تركيبه الأدبى ، فلا معدى له عن إعطاء حق الوجود الأول ،

لموجد لا حدّ لقدرته ، ولا نهاية لسلطانه ، يقدر أن ينشىء كل هذه المخلوقات ، لا لمادة ترابية مجردة من العقل والإرادة والاختيار !

وإذا أضفت إلى هذا أنه لا توجد أدلة تسند الإلحاد إزاء آلاف من الأدلة التى تثبت الإيمان ، أدركت أن الإلحاد نقص خلقى فى الإنسان ، أى أن صاحبه يميل إلى النفى بطبعه ويكره أن يعتبر من زمرة المؤمنين . وكما يوجد هذا النوع من المرض الأدبى فى الإنسان ، يوجد نوع آخر أكثر شيوعا وهو عدم الاهتمام . هذا النوع يشاهَد فى أكثر الناس وخاصة فى هذه الأيام التى كثر فيها الاهتمام بالأعمال المعيشية والمزاحمات . وهؤلاء أقل خطراً من سابقيهم وإن كانوا يضرون أنفسهم من حيث لا يدرون : فإن الإنسان مهما ابتسمت له الحياة ، فإنها قد تتجهم له فى بعض الأدوار ، إما لمرض يصيبه أو يصيب بعض ذويه ، أو لنازلة تحيق به فتفقده ماله وجاهه وتضيق فى وجهه المنادح . فهل تظن أن فى العالم شيئاً يمكن أن يسليه فيما أصابه من هذه المكاره غير اللجأ إلى موجده ، والاستئناس بذكره ؟ ولكنك لا تستطيع أن تقوّم طبيعته بشىء من هذا مهما بالغت له فى الموعظة . وهو على أية حال يكون خيراً من الملحد الذى إن أصابته كارثة لا يرى أيسر لديه من إزهاق نفسه برصاصة تخترق فؤاده ، أو تحرق مخه .

كل ما فى صميم الإنسان من قوى ، وما يحيط به من عوامل خارجية ، وما هو مدفوع إليه من الغايات البعيدة ، وما هو ممنو به من المتاعب الأدبية والمادية ، يدل على أنه خلق ليكون متدينا ، ومتدينا معناه ذا عقيدة يعتصم بها حيال الكوارث التى تصيبه فى حياته الدنيوية القصيرة الأمد ، ولذلك لا يوجد الإنسان حيث يكون إلا متدينا ، ولا يزال فى عصر الشكوك متدينا ، ولن يزال متدينا . أما الذين جانبوا الدين تحت أى عنوان كان فشواذ ، وهم شواذ حتى فى إلحادهم . وقد استنتج العلامة الدكتور (ووتى) فى كتابه (هل الإلحاد ممكن) ؟ L'athéisme est-il possible ? من ذلك أن الإلحاد سيزول شيئاً فشيئاً . فقال :

« الإلحاد آخذ فى الزوال شيأ فشيأ على نسبة التطور العقلى للإنسان . لأنه لا يستطيع البقاء بعد أن تبين أن الأصول التى كان يستند إليها أصبحت عديمة القيمة ولا تعتمد على قواعد أدبية . وليس مجرد حكمنا بعدم وجود شىء ،

بدون تقديم الأدلة على ذلك ، يمنع من وجوده . والتفكر فى وجود خالق للكون وحاجة الإنسان للاعتقاد ، هما فطريان فى الإنسان ، ويغمران العقول والقلوب معا ، وإن القادة من الكفرة عبثا يحاولون طمس الدين ، وإبعاده عن المدارس ، وعن الدولة ، ولن يستطيعوا التغلب عليه ؛ بل تراه يعود ويسود رغما عن كل هذه الموانع ؛ لأنه متصل بصميم الطبيعة الإنسانية » .

ثم عقب الدكتور المؤلف على هذه العبارة بقوله :

« كل عقل منطقى ، صحيح النظر ، وقويم المحاكمة والحكم ، لا يستطيع أن يجحد وجود قدرة عليا خلقت الوجود ونظمته » .

« والملحدون أنفسهم يعترفون بذلك . وهذا الأستاذ (لودانتك) Le Dantec[1] يعترف بذلك ويصرح علنا بأنه ليس لديه أى دليل فلسفى أو علمى يحمله على الإلحاد . وأنه ملحد بفطرته ، دون أن يعلم لما هو كذلك . ويجوز أن يكون ذلك أمر وراثى .

« ويزيد على ذلك فيعلن على رءوس الأشهاد بأنه ليس له أى دليل على عدم وجود الخالق ، فكتب يقول فى كتابه (الإلحاد) L'atéisme

« أنا ملحد على نحو ما أنا (بروتونى)[2] ، كما قد يكون الإنسان أسمر أو أشقر دون أن يكون له دخل فى أنه كذلك . وليس لدى من دليل أقدمه على أن الإلحاد خير من شىء غيره ، لأنى لم أعرف قيمة ذلك الشىء ولم أتذوقه » .

عقب الدكتور (ووتى) على هذا الاعتراف فى كتابه (هل الإلحاد ممكن) بقوله :

« من المحال إعطاء تصريح أبلغ من هذا على وهى الأساس الذى يقوم عليه الإلحاد . ومما يجعل لهذا الاعتراف قيمة أنه صادر من أشهر خصوم الإيمان الذين نبغوا فى القرن العشرين » .

---

(١) العلامة (لودانتك) من أعلام علم الحياة ومدرسه بجامعة باريس .

(٢) بروتونى أى من أهل بريتانيا وهى مقاطعة فى فرنسا . وفى انجلترة مقاطعة كبيرة بهذا الاسم ، ولذلك سميت الدولة الانجليزية بريتانيا العظمى .

ثم عقب الدكتور (ووثى) على هذا التصريح المكتوب بقوله :

« إننا لا نستطيع أن نحسن خاتمة القسم الأول من كتابنا هذا إلا إذا نقلنا الكلمات التى ألقاها (فيكتور هوجو) فى الجمعية التشريعية التى عقدت فى ١٥ يناير من سنة (١٨٥٠) بباريز ، قال :

« توجد كارثة فى زماننا هذا ، وكنت أريد أن أقول (شبه كارثة) ، ألا وهى الميل إلى حصر كل اعتبار فى هذه الحياة وحدها . والحقيقة أنه بإقناع الإنسان بأن هذه الحياة الأرضية المادية هى الغرض الأسمى من الوجود ، والنهاية التى ليس بعدها مرمى ، تتضخم جميع متاعب العيش ، وتعظم سائر تكاليفه ، وتصبح فكرة العدم غير ممكنة الاحتمال ، وينقلب الألم وهو ناموس إلهى موصل إلى الكمال ، ناموساً من اليأس موصلا إلى النار . وقس على ذلك جميع الشؤون الاجتماعية .

« فالذى يخفف الجهاد ، ويشرف العمل ، والذى يجعل الشخص قوياً متسامحا عاقلا صبوراً شجاعا جريئاً ، وفى الوقت نفسه متواضعاً وعظيما جديرا بالحرية ، هو ما يتراءى له على الدوام من حياة أبدية أكمل ، يتألق نورها خلال غياهب هذه الحياة .

« فواجبنا جميعاً أن نوجه الرءوس نحو السماء ، وأن نلفت جميع الأرواح إلى حياة بعد هذه الحياة ، يتقرر فيها العدل ، ويجازى كل على ما كسبت يداه .

« فلنقل بأصرح العبارات ولنرفع الصوت عالياً ، بأن أحداً لا يتألم ظلما ولا لغير فائدته . فإذا كان مِساك العالم المادى التوازن ، فإن مِساك العالم الأدبى هو العدل ، ثم إلى الله مصير الأمور » .

محمد فريد وجدى

من الأدب العربى

وبعد ، فلو كان المفكر الكبير فيكتور هوجو الفرنسى حيا ، لاستشهد فى هذا الموطن بقول الشاعر العربى :

إذا كان غير الله فى عدة الفتى أتته الرزايا من وجوه الفوائد

من ذخائر السنة

خطبة فى حجة

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ فكرى ياسين
مراقب البحوث والثقافة المساعد بالأزهر

أخرج مسلم من حديث جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب الناس فى حجة الوداع ، فقال : « إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم ، كحرمة يومكم هذا ، فى شهركم هذا ، فى بلدكم هذا . ألا كل شىء من أمر الجاهلية تحت قدمى موضوع ، ودماء الجاهلية موضوعة ؛ وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث ؛ وربا الجاهلية موضوعة ، وأول ربا أضع ، ربانا : ربا عباس ابن عبد المطلب ، فإنه موضوع كله ، فاتقوا الله فى النساء ، فإنكم أخذتموهن بأمان الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولكم عليهن ألا يُوطئن فرشكم أحداً تكرهونه ، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مُبَرِّح ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، وقد تركت فيكم ، ولن تضلوا بعده إن اعتصمتم به ، كتاب الله : وأنتم تسألون عنى ، فما أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك قد بلغت ، وأدّيت ، ونصحت . فقال بأصبعه السبابة ، يرفعها إلى السماء ، وينكتها إلى الناس : اللهم اشهد ، اللهم اشهد - ثلاث مرات » .

* * *

لا خلاف بين العلماء فى أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يحج بعد ما هاجر من مكة إلى المدينة سوى حجة واحدة وهى حجة الوداع ، ولا خلاف بينهم كذلك فى أن هذه الحجة كانت فى السنة العاشرة للهجرة .

فبعد أن مكث النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة تسع سنين لم يحج خلالها ، اعتزم فى السنة العاشرة الذهاب إلى مكة لأداء الحج ، فأعلم الناس بذلك ، وأشاعه بينهم ، ليتأهبوا له ، ويتعلموا المناسك والأحكام ، ولتنتشر دعوة الإسلام ، وتبلغ القريب والبعيد .

وفى يوم السبت لست بقين من ذى القعدة - على أصح الأقوال - خرج من المدينة نهارا ، بعد أن صلى الظهر بها أربعا ، وخطب الناس خطبة علمهم فيها الإحرام وواجباته وسننه ، وقد خرج معه خلائق لا يحصون ، فكانوا من بين يديه ، ومن خلفه ، وعن يمينه ، وعن شماله مد البصر ، وقد قدرهم البعض بتسعين ألفا ، وقدرهم آخرون بأربعة عشر ومائة ألف ، وساروا حتى بلغوا ذا الحُليفة ، فنزلوا بها ، وأقاموا فيها ليلتهم ، وأحرموا منها .

وفى اليوم الرابع من ذى الحجة بلغ الحجيج مكة ، فدخلها النبي صلى الله عليه وسلم نهارا من أعلاها ، من الثنية العليا التى تشرف على الحجون ، ولما دخل المسجد ، عمد إلى البيت فاستلم الحجر الأسود وقبّله ، وطاف بالبيت سبعا ، فلما كان يوم التَّرْوية - وهو اليوم الثامن من ذى الحجة - توجهوا إلى منى وباتوا بها ، وعندما طلعت الشمس ، سار النبي صلى الله عليه وسلم إلى عرفة ، فوجد القبّة التى أمر بها ، قد ضربت له بنمرة (وهى قرية شرقىّ عرفات) فنزل بها ، حتى إذا زالت الشمس أمر بناقته القَصواء [1] ، فوضع عليها الرحل ، ثم سار حتى أتى بطن الوادى من أرض عُرنة ، فخطب الناس وهو على الراحلة خطبة عظيمة ، قرر فيها قواعد الإسلام ، وهدم فيها قواعد الشرك والجاهلية ، على نحو ما أثبتناه من حديث جابر فى صدر هذه الكلمة .

وقد قال النووى عن هذا الحديث : إنه حديث عظيم مشتمل على جمل من الفوائد ونفائس من مهمات القواعد ، وهو من إفراد مسلم ، لم يروه البخارى فى صحيحه ، ورواه أبو داود كرواية مسلم .

---

(١) القصواء - بفتح القاف وبالمد : الناقة التى قطع طرف أذنها ، وقيل : المقطوعة الأذن عرضا ، [illegible] القاف والقصر - كما جاء فى بعض الكتب - تحريف وخطأ .

وقال عنه القاضى عياض : وقد تكلم الناس على مافيه من الفقه ، وأكثروا ، وصنّف فيه أبو بكر ابن المنذر جزءا كبيرا ، وخرّج فيه من الفقه مائة ونيفا وخمسين نوعا ، ولو تقصّى لزيد على هذا القدر قريب منه .

وفى الحق أن هذه الخطبة — وخصوصاً النص الذى أخرجه ابن إسحاق — لم تتضمن فروعا من الفقه فحسب ، بل تضمنت كثيرا من أصول التشريع ، وضروب الإصلاح ، وفنون السياسة ، وشئون الاجتماع ، وتعرضت من قريب ومن بعيد لكل ما يتصل بمصالح الناس فى معاشهم وفى معادهم : فهى تقرر - كما جاء فى رواية ابن إسحاق - تحريم المحرمات التى اتفقت الملل كلها على تحريمها ، وهى الدماء والأموال والأعراض ، وتشبهها فى حرمتها بحرمة يومهم وشهرهم وبلدهم ، وكان ذلك أمرا مسلماً به عندهم : وتخبر أنهم سيلقون ربهم ، وأنهم مسئولون عن أعمالهم ، وأنهم مطالبون بأداء الأمانة إلى من ائتمنهم عليها ، وأن أمور الجاهلية كلها موضوعة ، وأن رباها باطل ، ودماءها مهدرة : وتنبىء بيأس الشيطان من عبادته فى أرضهم هذه ، وبطمعه فى محقرات أعمالهم ، ومستصغرات أمورهم : وتحذرهم منه على دينهم : وتتحدث إليهم عن النسىء ، وزيادته فى الكفر ، واستدارة الزمان ، وعدة الشهور ، وبيان الحُرم منها وغير الحرم : وتوصيهم بالنساء خيرا : وتبين لهم الحق الذى لهن وعليهن ، والظروف التى يباح فيها للرجل تأديبهن : كما توصى بالاعتصام بكتاب الله ، وسنة رسوله : وتخبرهم أنهم لن يضلوا ما داموا معتصمين بهما : وأخيرا تطالبهم بالسمع والفهم ، وبمعرفة أن المسلم أخ للمسلم ، وأن المسلمين جميعاً إخوة ، وأنه لا يحل للأخ من أخيه إلا ما أعطاه إياه عن طيب نفس منه ، وتأمرهم بالابتعاد عن الظلم .

فأنت ترى من كل هذه المبادىء والتعاليم ، والوصايا والإرشادات ، والحِكم والأحكام التى اشتملت عليها هذه الخطبة ، أنها يصح أن تعتبر بحق وثيقة إسلامية هامة ، وأن تعدّ من أوفى الوثائق ، وأجمعها لأحكام الدنيا والدين .

وإن المتتبع للسنة الصحيحة الواردة فى حجة الوداع ، يجد أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يقتصر فى هذه الحجة على هذه الخطبة وحدها ، بل إنه لما رجع إلى منى

خطب الناس خطبة بليغة أعلمهم فيها بحرمة يوم النحر ، وتحريمه وفضله عند الله ، وحرمة مكة على جميع البلاد ، وأمرهم بالسمع والطاعة لمن قادهم بكتاب الله ، وبأخذ مناسكهم عنه ، وبألا يرجعوا بعده كفارا يضرب بعضهم رقاب بعض ، وبالتبليغ عنه ، وقال لهم : اعبدوا ربكم ، وصلوا خمسكم ، وصوموا شهركم ، وأطيعوا صاحب أمركم ، تدخلوا جنة ربكم . وأنزل المهاجرين عن يمين القبلة ، والأنصار عن يسارها ، وفتح الله له أسماع الناس ، حتى سمعها أهل منى فى منازلهم . وكذلك لم يقتصر صلى الله عليه وسلم على الخطب وحدها ، بل كانت هناك أيضا الإجابات الكثيرة على الأسئلة التى كانت توجه إليه ، والبيانات المتعددة التى كان يبين فيها الأعمال والمناسك ، وما يتعلق بها من تقديم وتأخير وتمهل وتعجيل ، وترتيب ، وغيرها . وهكذا لم تنقض هذه الحجة حتى كان النبى صلى الله عليه وسلم قد أرى الناس مناسكهم ، وأعلمهم ما فرض الله عليهم من الموقف ، ورمى الحجار ، والطواف بالبيت ، وما أحل لهم من حجهم ، وما حرم عليهم .

وقد سميت « حجة الوداع » لأن النبى صلى الله عليه وسلم ودّع الناس فيها وبعدها ، ولأنها كانت آخر حجة له . وسميت « حجة الإسلام » لأنه لم يحج من المدينة بعد فرض الحج غيرها . وسميت « حجة البلاغ » لأنه بلغ فيها الشرع فى الحج قولا وفعلا . وسميت « حجة التمام والكمال » لأن الله أكمل للناس فيها أمر دينهم ، وأتم عليهم نعمته . ويشهد لهذا أنه صلى الله عليه وسلم لما وقف فى ذيل الجبل عند الصخرات ، ونزل عليه قوله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الإسلام دينا » وأخذ يتلوها ، سمعه أبو بكر فبكى ، لأنه فهم أن النبى صلى الله عليه وسلم قد تمت رسالته ، ودنا أجله .

عرض الحديث فيما عرض له ، إلى بيان حرمة سفك الدماء ، وأخذ الأموال بالباطل ؛ وشبه ذلك فى التحريم بيوم النحر ، وبذى الحجة ، وبمكة : لأنهم كانوا يعتقدون أنها حرمة أشد التحريم ، لا يستباح منها شىء ؛ وفى تشبيه هذا مع بيان حرمة الدماء والأموال تأكيد لحرمة تلك الأشياء التى شبه بتحريمها الدماء والأموال ، وهذا من تشبيه ما لم تجر به العادة بما جرت به العادة ، كما فى قوله

تعالى : « وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة » ، إذ كانوا يستبيحون دماءهم وأموالهم فى الجاهلية فى غير الأشهر الحرم ، ويحرمونها فيها ، فكأنه قال : إن دماءكم وأموالكم محرمة عليكم أبدا كحرمة يومكم وشهركم وبلدكم .

ثم أشار الحديث بقوله : ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمى موضوع ، إلى إبطال أفعال الجاهلية وردها ، وعدم تعويل الرسول عليها ، وبدأ من ذلك بإهدار الدماء ، وأولها دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان هذا الابن طفلا صغيرا يحبو بين البيوت ، فأصابه حجر فى حرب كانت بين بنى سعد ، وبنى ليث بن بكر ، فقتله ، واختلفوا فى اسم هذا الابن ، والمحققون والجمهور على أن اسمه إياس . ثم ثنى بإبطال الربا ، وأول ما أبطل منه ربا عمه العباس ، والمراد به القدر الزائد على رأس المال ، كما قال تعالى . « وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم » . ولقد كان هذا الصنيع من الرسول صلوات الله وسلامه عليه صنيعاً حكيما ، لأن الذى يدعو إلى الإصلاح ، ويتصدى للأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، ينبغى أن يطالب بذلك نفسه وأهله أولا ، ثم يطالب به غيره بعد ذلك ؛ فإن هذا أقرب إلى قبول دعوته ، والإذعان لفكرته ، خصوصا عند من قرب عهده بالإسلام .

ولم يغفل الحديث فى هذا المقام أمر المرأة ، والتنبيه على كثير من شئونها ، وبيان مالها وما عليها من حقوق وواجبات ، فحث على مراعاة حقها ، وأوصى خيرا بها ، وأمر بمعاشرتها بالمعروف ، وأوجب نفقة الزوجة وكسوتها ، وضمان كل ما فيه كفايتها ومصلحتها ، وأشار الى أنها هى أيضا مطالبة نحو زوجها بالإخلاص له ، والأمانة فى عشرته ، والابتعاد بها عن مواطن الزلل ، وموارد التهمة ، وصيانتها عن كل شبهة تدخل على نفسه الوساوس ، وكل ريبة تسبب له الشكوك والأوهام ، فلا يحل لها أن تستخلى بالرجال ، ولا أن تأذن لأحد يكرهه الزوج فى دخول بيته ، والجلوس فى منزله ، سواء كان المأذون له رجلا أجنبيا أو امرأة ، أو أحداً من محارم الزوجة ، ولا يصح لها أن تأذن إلا لمن علمت أو ظنت أن الزوج لا يكرهه ، لأن الأصل تحريم دخول منزل الإنسان حتى يوجد الإذن فى ذلك منه ، أو ممن أذن له فى الإذن فى ذلك ،

أو عرف رضاه باطراد العرف فى ذلك ونحوه ، ومتى حصل الشك فى الرضا ، ولم يترجح شىء ، ولا وجدت قرينة ، لا يحل الدخول ، ولا الإذن .

وقال القاضى عياض : كانت عادة العرب حديث الرجال مع النساء ، ولم يكن ذلك عيبا ، ولا ريبة عندهم ، فلما نزلت آية الحجاب ، نُهوا عن ذلك .

وليس المراد الزنا فى قوله : ولكم عليهن ألاّ يُوطئن فرشكم أحداً تكرهونه ، لأن الزنا يوجب حدّها ، وهو حرام مع من يكرهه الزوج ومن لا يكرهه .

وقد أباح الشارع للزوج تأديب الزوجة بالضرب الغير المبرّح إن فعلت شيئاً من ذلك ، والضرب المبرّح : هو الشديد الشاق .

والصحيح أن المراد بكلمة الله فى قوله : واستحللتم فروجهن بكلمة الله : إباحة الله ، والكلمة هى قوله تعالى : « فانكحوا ماطاب لكم من النساء » ، وقيل : المراد قوله تعالى : « فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان » ، وقيل : المراد كلمة التوحيد ، وهى لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فإنه لا تحل المسلمة لغير المسلم ، وقيل : المراد بالكلمة الإيجاب والقبول ، ومعناه على هذا الكلمة التى أمر الله تعالى بها .

ثم عقّب الحديث ذلك كله ، ببيان أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قد ترك بين المسلمين أمرا عظيما ، لو تمسكوا به ، واهتدوا بهديه ، واعتصموا بحبله ، وساروا على مقتضى أحكامه وحكمه ، لعز شأنهم ، وقوى سلطانهم ، وعلت كلمتهم ، وتحققت هدايتهم ، وظلوا فى مأمن من الفتن والضلالات : وذلك الأمر هو القرآن الكريم ، كتاب الله الحكيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد .

وقد اختتم الحديث بسؤاله لهم عن موقفهم منه ، ومقالهم فيه ، وشهادتهم بشأنه حين يسألون عن ذلك ، فلما قالوا له : نشهد أنك قد بلغت الرسالة ، وأديت الأمانة ، ونصحت فى كل ما جئت به قولا وفعلا ، أشار بإصبعه السبابة ، يقلبها ويرددها ، فيرفعها الى السماء تارة ، ويخفضها الى الناس أخرى ، ثم استشهد الله عليهم ثلاث مرات ، وأمرهم أن يبلغ الشاهد منهم الغائب .

الكتاب والميزان

شماسر الحياة

لفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ محمد محمد المدنى
المفتش بالأزهر

قال الله تعالى : فى سورة الشورى : « الله الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان » وقال فى سورة الحديد : « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقومَ الناسُ بالقسط » .

وهاتان الآيتان الكريمتان تتحدثان عن شأن من شئون الله تعالى فى هذا الكون ، لولاه ما استقر نظامه ، ولا تمت عمارته ، ولأدركه الفساد ، وطواه الفناء : ذلك هو سنة الله فى إنزال الكتاب والميزان .

وقد اختلفت أقوال المفسرين فى معنى الميزان : فمنهم من فسره بالحقيقة اللغوية لهذا اللفظ ، فذكر أن المراد به هو تلك الآلة التى تعرف بها مقادير الأشياء ؛ ونسب هذا القول الى الحسن والضحاك وقتادة ، وقد رووا فى تأييد ذلك أن جبريل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه إلى نوح عليه السلام وقال : مر قومك يزنوا به : كما رووا فى شأن الحديد الذى جاء ذكره فى قوله تعالى : « وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافعُ للناس » ما ورد من أن آدم نزل من الجنة ومعه خمسة أشياء من حديد : السندان ، والكابتان ، والمقمعة ، والمطرقة ، والإبرة .

ولا يخفى أن هذا وقوف عند معانى الألفاظ المفردة ، وإهمال للمعنى التركيبي الذى جاء على المألوف فى كتاب الله عز وجل ، وفيما عرف من كلام العرب .

ومنهم من فسر الميزان بالعدل الذى شرعه الله ، وأمر به ، وجعله سببا فى استقامة الأحوال ، وبقاء الملك ، واطمئنان كل ذى حق على حقه ؛ وفى ذلك

مكتبتنا العربية

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « بالعدل قامت السموات والأرض » . وهذا هو قول الحسين بن الفضل ، ورجحه كثير من المفسرين .

ولا شك أن لكل من الميزان الذى هو آلة التقدير والمعادلة ، والميزان الذى هو العدل والقسطاس المستقيم ، شأنه فى نظام الحياة ، وما تستقر عليه أحوال الناس ؛ ولكن التعبير القرآنى فى هاتين الآيتين اللتين سقناهما يوحى بأن معنى آخر أجل من ذلك وأسمى وأبعد فى نظام الكون أثراً هو المراد : فالآية الأولى تقول « الله الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان » والكتاب كما يقول العلماء : جنس أريد به سائر الكتب السماوية التى أنزلها الله على رسله ليشرع لهم الدين ، ويبين لهم الحق ، ويأخذهم بالمنهج القويم الذى به يسعدون : ولا شك أن البشر ما كانوا يستطيعون أن يستقلوا بإدراك الخير والشر والحق والباطل والصلاح والفساد ؛ لأن العقول تختلف ، والأهواء تتضارب ، والأزمان والبيئات تتفاوت ، وقد يكون الخير فى نظر قوم شراً فى نظر آخرين ، وقد يرى بعض الناس شيئاً من الأشياء حقا أو صلاحا ، ويراه غيرهم باطلا أو فسادا ، فلم يكن بد من هداية إلهية يقف أمامها العالم واثقا مطمئناً راضياً لا يخالجه فى صحتها شك ، ولا يزلزله عنها تغير زمان أو مكان ، أو تقلب حال بعد حال . فالمنة بإنزال الكتاب ، وإرسال الرسالات الإلهية الى بنى الإنسان ، منة عظمى : لأنها منة بتركيز الحياة على أسس ثابتة ، ومقاييس عادلة ، لولاها لظل بنو آدم فى عماية من أمرهم ، وتخبط فى شئونهم ، وتداول بين المذاهب البشرية التى لا تسلم من الأغراض والأهواء والأخطاء .

وإذا كان الأمر كذلك ، كان من البعيد أن يذكر مع هذا المعنى الجليل ، والشأن الخطير ، شأن الميزان بمعنى آلة التقدير ، وأن يسلط فعل « أنزل » على الميزان بهذا المعنى كما سلط على الكتاب : ومهما قال القائلون فى فوائد الميزان ونفعه للناس فى معاملاتهم وأخذهم وعطائهم ، وتحقيقه للعدل بينهم ، ونفيه للظلم والحيف ، فإن ذلك لا يكفى لأن يقرنه الله بالكتب والرسالات الإلهية فى الذكر ، ويعبر عنهما جميعا بما يفيد أنهما منه صدرا ، وبتدبيره وعلمه كانا .

أما التفسير الثانى، وهو تفسير الميزان بالعدل، فإن كان المراد بالعدل التسوية بين الناس فى الحقوق والواجبات ومنع الحيف والظلم، فذلك شأن عظيم، وتشريع حكيم، له أثره فى حياة الناس ومعيشتهم آمنين مطمئنين؛ ولكنه على ذلك معنى ضيق بجانب هذا التعبير القرآنى: فالعدل شرعة أمر الله بها، وواجب على الناس اتباعها، كسائر ما تضمنه الكتاب من الشّرَع والأحكام والمناهج، وليس يكفى أن نقول: عطف الخاص على العام أو نحو ذلك مما يلجأ إليه لتصحيح أصل الكلام، وتكلف الدفاع عن معنى معين، أو أن نقول كما قال أصحاب هذا القول أنفسهم بأن معنى الميزان على هذا التفسير هو القرآن؛ فكأنه قال: أنزل الكتب السماوية وأنزل القرآن، بيانا لعظم شأنه واختصاصاً له بالذكر والتنويه على نحو ما قيل فى عطف جبريل وميكال على الملائكة فى قوله تعالى: «من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين».

وإن كان المراد بالعدل أمرا أبعد من ذلك هو الذى ينبغى أن يفهم من الحديث الذى ساقوه، وهو العدل الإلهى الصادر من الله بمعنى معادلة الأشياء وإعطاء كل شىء خلقه، وتوفية كل مستحق ما استحقه، فذلك هو المعنى الصحيح الذى ينبغى أن تحمل عليه الآيتان ويفسر به الميزان. بيان ذلك أن الميزان الذى أنزله الله هو التقدير المعلوم لكل شىء على حساب موافق للحكمة لا زيادة فيه ولا نقصان، وقد قامت السموات والأرض بهذا الميزان؛ فالسموات قد ضبط أمرها، وقدر شأنها بضابط إلهى من صنع الله الذى أتقن كل شىء، وليس لأحد من الخلق فيه شأن؛ والأرض كذلك أنشأها الله، وهيأ أسباب الحياة فيها، وقدر فيها أقواتها، وأنبت فيها من كل شىء موزون، أى مقدر حسب الحكمة، ووفقا لحاجة سكانها، وكل ذلك بفعل الله وحده، ولو اختل شىء من ذلك واضطرب الميزان فيه، لما بقيت الدنيا طرفة عين. وإنما مثل هذه الدنيا من سمائها وأرضها وهوائها وبحارها وجميع ذراتها، ما علمناه من أمرها وما خفى، كمثل بناء متماسك له قوانين تضبطه، وموازين تحكمه، عليها بقاؤه، وباختلالها أو أحدها يكون اضطرابه ثم فناؤه. ولما كان هذا الميزان من صنع الله وليس لأحد فيه شأن قل أو جل؛ قال الله

مكتبتنا العربية

تعالى : « أنزل الكتاب بالحق والميزان » ليفهمنا أن الكتاب والرسالات الإلهية أمر تقضى به حكمة الحكيم ، ورحمة الرحيم ، وهى منه صادرة ، والى الناس نازلة ؛ كذلك الميزان والتقدير الذى دبرت عليه الكائنات ، وقامت به الأرض والسموات هو منه وبه ، ولولاه ما كانت الدنيا .

وكما يقال هذا فى الآية الأولى ، يقال فى الآية الثانية ، وهى قوله تعالى « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان » فهى تتحدث عن نعمة الله فى اصطفاء فريق من خلقه يعهد إليهم بالرسالة إلى الناس ، ويهيئهم لهذه الرسالة بما يطبعهم عليه من الصفات العالية ، ويؤيدهم بالبينات ، ليعلم الناس صدقهم ، ويؤمنوا بهم ، وهو مع ذلك لم يتركهم لما منحهم من صفات وهيأهم عليه من طبائع شريفة ، ولكنه أنزل مع إرسالهم الكتاب وأنزل الميزان . وقد يفسر الإنزال حين يعدّى إلى الكتاب بمعنى الإيحاء ، وحين يعدّى الى الميزان أو الحديد بمعنى التهيئة والإنشاء كما فى قوله تعالى : « أنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج » ومهما يكن من شىء فقد جمع الله بين إنزال الكتاب ، وإنزال الميزان ، فلا ينبغى أن نفهم الميزان على معنى يضيق عما أسلفنا من التفسير والبيان .

الكتاب والميزان إذن هما أساس الحياة ، وفطرة الله التى فطر عليها هذا الخلق ، وبرأ بها هذا الكون ؛ وبعبارة أخرى : لا قوام للعالم إلا بالرسالات الإلهية التى جاد الله بها على خلقه هداية لهم وتعليما ، وأخذاً بأيديهم إلى السعادة والهناءة ، كما لا قوام له إلا بهذا الميزان المنضبط ، والتقدير السليم المحكم الذى قدر الله به جميع ما خلق ، وصان به الكون من الزوال والخلل والاضطراب ، وقد يلتقى مع هذا المعنى قوله تعالى فى آية أخرى « أعطى كل شىء خلقه ثم هدى » إذا فسر بأنه منح كل شىء فى هذا الكون خواصه ومزاياه على تقدير حكيم ، ووزن سليم ؛ فللماء خصائصه بميزان وتقدير ، وللهواء خصائصه بميزان وتقدير ، وللجماد فى مختلف أنواعه خصائصه ، وللحيوان خصائصه ، وللشمس وللقمر وللنجوم خصائصها ... إلى غير ذلك مما خلق الله ، ثم هدى الناس إلى الحق والخير والجمال بما بعث فيهم من رسل ، وأنزل عليهم من كتاب .

أما بعد ، فإن الكتاب أمر ونهى ، وتحريم وتحليل ، ووعظ وتذكير ، وتربية للروح ، وإرشاد إلى المثل الطيبة ، والأخلاق الفاضلة ، وتنفير من الرذيلة ، وحث على الفضيلة : والميزان هو مظهر الحكمة الإلهية ، والتدبير الربانى ، فيما نرى من غنى وفقر ، أو صحة وسقم ، أو ذكاء وغباء ، أو جمال وقبح ، أو سعادة وشقاء : ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ، ولكنه وزع الحظوظ ، وقسم القسم ، وخالف بين خلقه من الأشياء والأشخاص والأمكنة والأزمنة ، ففضل ماشاء على ماشاء ، ورفع بعضهم فوق بعض درجات ، ولن يصلح أمر هذه الحياة إلا «بالكتاب والميزان» ، فكل نظام من النظم البشرية يقوم على أساس الرضوخ لهما ، والاعتراف بهما ، والوقوف عند حدودهما ، والرضا بحكمهما ، فهو نظام ناجح باق لأنه موافق للطبيعة والفطرة ، غير معاند لسنن الله التى أقام عليها هذا الكون : وكل نظام يرفض هذين أوأحدهما ، ولا يرضى بهما أساساً له ، فيحاول أن يخرج على شرائع الله ، وأن يتعدى حدود الله ، أو يحاول أن يطغى فى الميزان ويعدل بزعمه أمر الله : فهو نظام زائف مزلزل لابقاء له ، ولاحياة ، ولن يستقر معه قرار الناس ، ولو أيدته القوة ، ودعا له الدعاة ، فأما الزبد فيذهب جُفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض .

آداب عيادة المرضى

اعتل الفضل بن يحيى بن خالد البرمكى ، فكان إسماعيل بن صبيح الكاتب إذا أتاه عائداً لم يزد على السلام عليه ، والدعاء له ، ويخفف فى الجلوس ، ثم يلقى حاجبه ، فيسأله عن حاله ومأكله ومشربه ونومه ، وكان غيره يطيل عنده الجلوس . فلما أفاق الفضل من علته ، قال : ماعادنى فى علتى هذه إلا إسماعيل بن صبيح .

كان معاوية إذا أراد صرف جلسائه قال لهم : إذا شئتم . . . وكان ابنه يزيد يقول : على بركة الله . وكان عبد الملك بن مروان يضع الخيزران من يده .

وعادة الملوك اليوم إذا أراد أحدهم صرف الجالسين عنده ، قام فيودعونه ، وينصرفون .

نظرات فى توثيق المعاملات المالية

بين الشريعة والقانون

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد اللطيف السبكى
المفتش بالأزهر

—

التوثيق الكتابى

قال الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه . . . » الآية .

تعتبر هذه الآية الكريمة مفتاح الكلام ، على التوثيق فى الدين وحكمه فى نظر الشريعة .

وقديما شحذ العلماء لها أقلامهم ، وأفرغوا فيها جهودهم ، ومع ذلك لاتزال الأفهام فيها بين أخذ ورد ، لعدم استقرار الأولين عند رأى قاطع .

وقد عرضت الآية للدَّين وتوثيقه من نواح عدة ، فذكرتْ كتابة الدين ، وعدالة الكاتب ، وعدالة المملى ؛ وذكرت الاستشهاد على الدين ، وعدالة الشهود ، وما يتصل بذلك من الإشهاد على البيع ، وما يستثنى توثيقه . . . الخ .

وقصدى فى هذا الصدد أن أوازن بين آراء العلماء فى حكم الكتابة أولاً ، وأن أركن إلى ما أطمئن اليه من وجوه الرأى ، بعد توجيهه ما استطعت ، تاركا تفصيل الكلام على الشهادات والشهود إلى موضوعه .

قال القرطبى رحمه الله : وقال ابن عباس : هذه الآية نزلت فى السلَم خاصة ؛ ومعناه : أن سَلَم أهل المدينة كان سبب الآية ، ثم هى تتناول جميع المداينات إجماعا . . ثم زاد فقال : وحقيقة الدين عبارة عن كل معاملة كان أحد العوضين فيها نقدا والآخر نسيئة ؛ وذكر شواهد من الشعر العربى يزيد بها تفسيره للدين بما ذكر .

فالذى يفيده كلام القرطبى أن أهل المدينة كانوا يتعاملون بالسلم ، وهو كما نعلم

يشتمل حتما على الأجل فى المثمن . والظاهر أن الخلاف كان يقوم بين المتعاملين ويحدث بينهم ما يأباه الإسلام من تنازع . فرفقا بالناس أقرهم الدّين على هذا النوع المعهود بينهم ، ونظمه لهم بما يكفل الغرض المرجو منه ، فأمرهم بكتابته والاستشهاد عليه ، على نحو ما أوضحت الآية .

غير أن الحكمة التى اقتضت كتابة دين السلم تتوفر فى غيره من الديون ؛ لذلك جاء لفظ الدين عاما فى السلم وفى غيره ، ومن هنا عمم العلماء فى مفهوم الدين ، حتى كان إجماعا على ذلك ، كما يحكى القرطبي ؛ وهـــذا التعميم مصداق القاعدة المشهورة لدى المفسرين : العبرة بعموم اللفظ ، لا بخصوص السبب .

ثم انتقل القرطبي بعدما سلف الى تفسير قوله تعالى « فاكتبوه » فجعل ضمير المفعول عائدا على المذكور من الدين والأجل معاً ، وجعل الأمر بالكتابة يتناول الإشهاد على الدين فى الكتاب ، وعلل هـذا بأن الكتابة من غير إشهاد لا تكون حجة . وكان القرطبي فى غنى عن هذا ؛ لأن الإشهاد مأمور به صراحة فى قوله سبحانه : « واستشهدوا شهيدين من رجالكم ... » .

ثم قال القرطبي : فى قوله تعالى : « فاكتبوه » إشارة ظاهرة الى أنه يكتبه بجميع صفته المبينة له ، المعربة عنه ، للاختلاف المتوهم بين المتعاملين ، المعرفة للحاكم بما يحكم به عند ارتفاعهما اليه . اهـ .

فحاصل ما ذكره القرطبي : كتابة الدين وأجله مع الإشهاد على الكتاب ، وتضمينه جميع الصفات التى تدفع ما يخشى من خلاف ، وتنير للحاكم طريق الحكم فيه .

وقد عرض القرطبي بعد ذلك لتفسير الأمر بالكتابة ، وبيان حكمها شرعا فى توثيق الديون ، فذكر أن الأمر للوجوب عند بعض العلماء ، وأنه على ظاهره لم يصرفه صارف ، ويكون التوثيق الكتابى عند هـؤلاء واجباً ، كما أن الإشهاد على البيع واجب عندهم . ثم ذكر رأى الجمهور بحمل الأمر على الندب ، وانتصر له بقوله : وهذا هو القول الصحيح (ص ٣٨٣ ج ٣) .

ولم يذكر القرطبي عن أحد الفريقين تفريقا بين الدين الخطير وغيره ،

مكتبتنا العربية

وهذا يؤذن منه ومنهم بأن الكلام على الدين عامة . ويتفق معه فى كل ذلك كلام الجصاص إذ يقول : « إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى » : ينتظم سائر عقود المداينات التى يصح فيها الآجال . وكرر هذا الكلام مرة أخرى ، ومثّل بقوله : فمن اشترى داراً أو عبداً بألف درهم إلى أجل ، كان مأموراً بالكتابة والإشهاد بمقتضى الآية . ثم تناول الجصاص قوله تعالى : « تداينتم بدين » ، فذهب إلى أن لفظ « تداينتم » مشترك لفظى بين معنيين : فهو يحتمل معنى تجازيتم من المجازاة ، ومعنى تعاملتم بالدين ؛ ويرى أن لفظ « بدين » جاء لدفع الاشتراك ، وقصر اللفظ على المعاملة بالدين . ثم عرض الجصاص — كما عرض القرطبي — لبيان حكم الكتابة والإشهاد فى توثيق الدين ، ففرض فى الآية احتمالين :

أحدهما : أن تكون الأوامر الثلاثة فى قوله تعالى : « فاكتبوه ، واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، وأشهدوا إذا تبايعتم » محمولة على الوجوب ، حتى نسخ ذلك الوجوب بقوله سبحانه : « فإن أمن بعضكم بعضاً ، فليؤد الذى اؤتمن أمانته » ، فإن فى هذا الجزء الأخير تحليلا مما كان واجبا .

الاحتمال الثانى : أن تكون الأوامر الثلاثة نزلت مع الجزء الأخير دفعة واحدة ، فلا نسخ إذن ، لما هو معروف من أن الناسخ لا يجتمع مع منسوخه فى زمن واحد . وعلى تسليم هذا الاحتمال فى نظره لا تكون الأوامر الثلاثة مفيدة للوجوب ، لاقترانها بما يصرفها عنه إلى الندب ، وذلك الصارف هو قوله عز شأنه : « فإن أمن بعضكم بعضاً . . . » الآية .

وخرج الجصاص من هذين الاحتمالين إلى أن تاريخ النزول غير معروف ، حتى نجزم بأحد الوجهين ، ثم رتب على عدم العلم بتاريخ النزول وجوب الحكم بورود الكل دفعة واحدة ، إذ قال : فلم يرد الأمر بالكتابة والإشهاد إلا مقرونا بقوله تعالى : « فإن أمن بعضكم بعضا » الخ .

وانتهى الى نتيجة حتمية فى اعتباره ، وهى أن الأمر بالكتابة والإشهاد ندب غير واجب .

. عندى أن الجصاص فى أسلوبه متهافت على القول بالندب ، وأن منهجه

فى القول لا يصل به إلى نتيجته ، إذ أن الجهل بتاريخ النزول ، لا يستلزم الحكم بنزول الكل دفعة واحدة ، لقيام الاحتمال أن تكون مفرقة فى نزولها ، حتى لو كان الجهل بتاريخ النزول مستلزما لما يقوله ، لما تحتم أن يكون الجزء الأخير « فإن أمن بعضكم » صارفا للأمر عن الوجوب ، بل يظل الأمر فى كل منها على الأصل فيه ، ويكون الجزء الأخير متجها الى ناحية غير ناحية الكتابة والإشهاد ، فلا يكون صارفا ولا ناسخاً لما تفيده الأوامر الثلاثة من الوجوب ، فلا وجه لتحكم الجصاص فيما رآه .

ذلك موقف القرطبي والجصاص ، من التوثيق الكتابى وحكمه ؛ وقد حذا حذوهما كثير من المفسرين : كابن كثير ، والألوسى ، وكذلك جمهور الفقهاء من علماء المذاهب .

وذهب آخرون إلى القول بالوجوب ، ومنهم ابن جرير الطبرى فى تفسيره ، وانتصر لهذا الرأى فى قوة . وعليه من الفقهاء مذهب الظاهرية ، وجنح إليه وارتضاه الأستاذ المرحوم الشيخ محمد عبده ، ولكل من الفريقين أدلة يستند إليها .

فأدلة الجمهور ثلاثة : الأول ما تقدم نقله عن القرطبي والجصاص ، وموافقيهما من قوله تعالى « فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى اؤتمن أمانته » فإن معناه عندهم إن توفرت الطمأنينة بينكم وائتمن بعضكم بعضا من غير توثيق ، فعلى المؤتمن أن يؤدى أمانته التى فى عهدته ، ولا يتحتم التوثيق الكتابى ولا غيره ؛ فإن فرضنا الآية نزلت مفرقة كما هو أحد الاحتمالين ، فالوجوب المستفاد من أولها منسوخ بآخرها ، فلا تفيد حينئذ أكثر من الندب . ويؤيد هذا الفهم عندهم ما روى عن أبى سعيد الخدرى ، ووافقه عليه آخرون ، فقد صرح أبو سعيد فى صدد هذا بقوله : صار الأمر إلى الأمانة ، ثم تلا قوله تعالى : « فإن أمن بعضكم بعضا » الآية (ص ٤٨١ ج ١ جصاص ، ص ٣١١ ج ٤ مغنى ابن قدامة) . وإن فرضنا الآية نزلت دفعة واحدة فقد بين آخرها أولها من أول الأمر ، بأنه للندب .

الدليل الثانى للجمهور : أن النبى صلى الله عليه وسلم اشترى من أعرابى فرساً فجحده الأعرابى حتى شهده له خزيمة بن ثابت ، واشترى من رجل سراويل ، ولم ينقل أنه أشهد فى شىء من ذلك .

مكتبتنا العربية

دليلهم الثالث : أن الصحابة كانوا يتبايعون فى الأسواق ، فلم يأمرهم النبى صلى الله عليه وسلم بالإشهاد ، وأن التعامل بالدين مما يكثر ، فلو كان الكتاب والإشهاد واجباً ، لكان فيه أولاً حرج ، والحرج منفى شرعا بنص القرآن : وثانيا : كان ينقل إلينا عمن مضى ، فضلا عن أن فقهاء الأمصار متفقون على أن ما أمرنا به فى آية الدين من الكتاب والإشهاد والرهن ، من قبيل الإرشاد إلى مافيه الحظ والصلاح للدين والدنيا (ص ٤٨٣ جصاص ، ص ٣١١ ج ٤ مغنى) .

وكذلك استدل القائلون بالوجوب بثلاثة أدلة :

الأول : أن الأمر ورد صريحا بكتابة الدين والإشهاد عليه ، والأصل فى الأمر الوجوب ، ما لم يرد ما يصرفه إلى الندب ، وحيث لم يوجد صارف له هنا فالوجوب مقطوع به عندهم .

الثانى : أن السنة وردت بذلك ؛ فقد روى أبو بردة عن أبى موسى الأشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « ثلاثة يدعون الله فلا يستجيب لهم : رجل كانت له امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها ، ورجل أعطى ماله سفيها وقد قال تعالى « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » ، ورجل له على رجل دين لم يشهد عليه » (صفحة ٣٤٤ ج ٨ المحلى) .

ووجه الدلالة فى هذا أن الحرمان من قبول الدعاء نقمة ، والنقمة لا تكون إلا على معصية .

الدليل الثالث : ما روى من الآثار ؛ فقد روى مجاهد أن ابن عمر رضى الله عنهما كان إذا باع بنقد أشهد ، وإذا باع بنسيئة ، كتب وأشهد (ص ٣٤٤ ج ٨ المحلى) .

تلك خلاصة الأدلة للقائلين أولا بالندب فى التوثيق ، ثم للقائلين ثانياً بالوجوب ؛ وكلها لا تسلم من المناقشة فيما بينهم ، وهى مناقشة مع طولها لم تحسم الخلاف ، ولا أرى فى ذكرها إلا تطويلا فى اللجاج ، إذ لم تنته بأحد الفريقين إلى رأى الآخر ، ولم تزل المسألة بحاجة إلى الاجتهاد بين مذهبيهما ، وترجيح ما يتضح صوابه ومعقوليته ، أو الاتجاه إلى رأى ثالث . وهذا يقتضى بحثاً آخر . ولعلنا نوفق إليه إن طال بنا الأجل .

طرف من مقاصد القصص القرآنى

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ الطيب حسن النجار
المدرس بكلية أصول الدين

يقص علينا كتاب الله الذى لا ينطق إلا بالحق ، من مواقف موسى عليه السلام فى سبيل دعوته ، وتبليغ رسالته ، وتأييد الله له بالمعجزات الباهرات - الشىء الكثير ؛ فمن ذلك حين قال له فرعون : « إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين ، فألقى عصاه ، فإذا هى ثعبان مبين ، ونزع يده فإذا هى بيضاء للناظرين » فأبى فرعون ، وجمح فى غوايته ، وأنكر الواقع ، وأبرز ذلك فى صورة تثير سخط القبط على موسى « ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ، ونسى ما قدمت يداه » . ثم ادعى أنه يعارضه بمثل ما أتى ، فجمع السحرة وأدواتهم ، وأتى فى الموعد المضروب بينهما ، فأسدى موسى عليه السلام خالص النصح ، وحذرهم عذاب الله وغضبه ، فأحفظهم ذلك ، وأثار غضبهم ، فأخذوا يتشاورون فى كيفية المعارضة ، وأسروا النجوى بقولهم : هذان ، أى موسى وهرون ، ساحران يريدان أن يخرجاكم من أرض مصر ، ويذهبا بمذهبكم الذى هو أفضل المذاهب وأمثلها ، فأجمعوا كيدكم وارموا عن قوس واحدة ، ثم ائتوا مصطفين ، ليكون ذلك أدخل فى استجلاب الرهبة ، وأوغل فى إدخال الذعر ، فماذا كان ؟

ألقوا حبالهم وعصيهم ، فى ضحوة النهار ، وحشد من الناس ، بعد أن لطخوها بالزئبق ، فصارت بتساقط ألسنة الشمس عليها ، تهتز وتضطرب ، حتى خيل إلى موسى عليه السلام أنها حية تسعى ، وليس من شك فى أن هذه الحالة المفاجئة ، توقع فى الرعب والخوف : ولكن الله سبحانه وتعالى أيده بروح من عنده ، وطمأنه وأمره أن يلقى عصاه ، فألقاها فإذا هى ثعبان يفغر فاه ، ويلتقم حبالهم ، وعصيهم ، حتى يأتى على آخرها !

أدرك السحرة إذ ذاك أن هذه آية من آيات الله ، وليست من باب السحر لا من قرب ولا من بُعد ، فسجدوا لله ، وآمنوا به عن إخلاص فى العقيدة . قال الأخفش : قد ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ، ثم ألقوا رءوسهم بعد ساعة للشكر والسجود . فما أعظم الفرق بين الإلقاءين ! فتوعدهم فرعون بالتنكيل والعذاب الأليم ، فما أعاروا لذلك أهمية ، وقالوا : « إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا ، وما أكرهتنا عليه من السحر ، والله خير وأبقى » .

وقد حكى الله ذلك بقوله : « ولقد أريناه آياتنا كلها ، فكذب وأبى ، قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى ، فلنأتينك بسحر مثله ، فاجعل بيننا وبينك موعداً لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سُوى ، قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضُحى ، فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى ، قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا ، فيُسحتكم بعذاب ، وقد خاب من افترى . فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى ، قالوا إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ، ويذهبا بطريقتكم المثلى ، فأجمعوا كيدكم ، ثم ائتوا صفا ، وقد أفلح اليوم من استعلى . قالوا يا موسى إما أن تلقى وإما أن نكون أول من ألقى ، قال بل ألقوا ، فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى ، فأوجس فى نفسه خيفة موسى ، قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى ، وألق ما فى يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيدُ ساحر ، ولا يفلح الساحر حيث أتى ، فألقى السحرة سجدا ، قالوا آمنا برب هرون وموسى . قال آمنتم له قبل أن آذن لكم . إنه لكبيركم الذى علمكم السحر ، فلأقطعن أيدكم وأرجلكم من خلاف ، ولأصلبنكم فى جذوع النخل ، ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى ، قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذى فطرنا ، فاقض ما أنت قاض ، إنما تقضى هذه الحياة الدنيا » .

فأنت ترى كيف صورت هذه القصة باطلهم بصورة أماطت عنه اللثام ، وكشفت ستره ، وجعلته ينادى على نفسه بنفسه : إنه تمويه وتضليل ، ليس له ثوب يحميه ، ولا أصل يعتمد عليه ، وأبرزت الحق فى ثوبه الصحيح ، ومخايله التى تهدى إليه ، وقد توثقت عراه ، واشتدت قواه ، بسلطانه القوى المتين .

أفادت هذه القصة أن الباطل إن وجد له أنصاراً وأعوانا ، فهو أمام الحق لاتثبت له قدم ، ولا يجبر وهيه ، ولا تقوى له شكيمة وعزيمة : فهؤلاء هم السحرة قد أجمعوا كيدهم ، وأحكموا أمرهم ، رجاء أن ينالوا الأجر والحظوة الكبرى لدى فرعون ، ولكنهم لما انبلجت لهم الحقيقة ، وقام الحق على أقدامه ، ثابت الوطائد ، مشيد الأركان ـ ألقوا السلاح ، وخروا لله سجداً ، وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقا .

وأفادت أن العقيدة السليمة ، إذا رسخت فى النفوس ، وحلت فى القلوب ، لاتزحزحها كوارث الأعداء عن مكانها الذى حلت به ، وبسطت رواقها عليه ، ولا يزعجها إبراق ولا إرعاد ، ولا نصل ذى القوة والسلطان : فهؤلاء هم السحرة ، توعدهم فرعون بالقتل والصلب ، وليس عذاب أنكى وأشد وأعنف من ذلك ، فما وهنوا وما ضعفوا وما استكانوا ، بل استهانوا بكل هذا واستعذبوه ، ولم يتحولوا عما اعتقدوه : وفى ذلك تنبيه وإرشاد إلى وجوب تعرف الأمور على حقيقتها ؛ والتمسك بالحق متى استنار سبيله : والاقتداء بهؤلاء الذين نالوا الدرجات العلى .

أرشدت هذه القصة إلى أن الشعوذة ـ وإن أشبهت المعجزة فى الصورة ـ لكن ما يجريه الله سبحانه وتعالى على أيدى أنبيائه ورسله ، تأييداً لدعوتهم ، وتصديقاً لرسالتهم ، لا سبيل إلى أن يأتى الإنس والجن بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا : وإن فى ذلك لبياناً شافيا ، وحدا فاصلا ، بين متشابهات الأمور ، فيأمن من هداه الله للتى هى أقوم ، وبصّره بما هو خير وأنفع ، العثار وزلات الأقدام ، وأن يأتى ربه مجرما .

ولذلك اقتضت حكمة الله البالغة أن تكون المعجزة التى يؤيد بها رسله ، من جنس ماحذق فيه القوم المرسل إليهم ، وبرعوا فيه ، حتى إذا ماتحداهم الرسول وعجزوا ، كان ذلك أدعى إلى الإيمان والتصديق ، لئلا يكون للناس على الله حجة .

ومن هنا نستطيع أن ندرك الحكمة فى إنزال الله ملكين ببابل ـ هروت وماروت ـ يعلمان الناس السحر ، وهى : من علم السحر وعرفه ، تيسر له أن يفرق بينه وبين المعجزة ، فيأمن السقوط والوقوع بين براثن المشعوذين ، الذين يزعمون أنهم رسل من عند الله .

وتوضيحاً لذلك نقول : قال الله تعالى : « واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان ، وما كفر سليمان ، ولكن الشياطين كفروا ، يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ، ببابل : هاروت وماروت ، وما يعلمان من أحد ، حتى يقولا إنما نحن فتنة ، فلا تكفر » الآية .

يذكر الله سبحانه وتعالى بذلك نوعا من قبائح اليهود ، وهو اشتغالهم بالسحر ، وتمحضهم فيه ، واتباعهم كتب السحرة ، التى كان يقرؤها عليهم المتمردون من الشياطين فى عهد ملك سليمان . قيل كانت الشياطين تسترق السمع ، ويضمون إلى ماسمعوا أكاذيب يلقونها إلى الكهنة ، وهم يدونونها ويعلمونها الناس ؛ وفشا ذلك فى عهد سليمان عليه السلام ، حتى قيل إن الجن تعلم الغيب ، وكانوا يقولون : هذا علم سليمان ، وما تم له ملكه إلا بهذا العلم ، وبه سخر الإنس والجن والطير والريح . وقد نزه الله سبحانه وتعالى ساحة سليمان من ذلك ، وكذب من افترى ذلك وعزاه إليه ، بقوله : « وما كفر سليمان ، ولكن الشياطين كفروا » باستعمال السحر وتدوينه ، وتعليمه للناس . إغواء وإضلالا . ويعلمون الناس كذلك ما أنزل على الملكين ببابل : هاروت وماروت ، وهما ملكان أنزلا لتعليم الناس السحر ، تمييزاً بينه وبين المعجزة ، لأن السحرة كثرت فى ذلك الزمان ، واستنبطت أبواباً غريبة من السحر ، وكانوا يدّعون النبوة ، فبعث الله هذين الملكين ليعلما الناس أبواب السحر ، حتى يتمكنوا من معارضة أولئك الكذابين ، وإظهارهم أمرهم للناس .

ولما كان هذا يلزمه أن يكون الله سبحانه وتعالى هو المنزل للسحر ، وكيف يضاف إليه ما ينهى عنه ويتوعد عليه بالعقاب ؟ وهل السحر إلا الباطل المموه ، وأن الملائكة تتعاطى تعليمه ، وهو كفر ، لقوله تعالى « ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر » فلا يصح أن تتعاطاه ، وأنه كما لايجوز فى الأنبياء أن يبعثوا لتعليم السحر ، فكذلك فى الملائكة بطريق الأولى — لما كان ذلك ، رأى بعض العلماء أن (ما) فى قوله تعالى : « وما أنزل على الملكين » نافية ، والجملة معطوفة على قوله تعالى : « وما كفر سليمان » وكذلك « ما » فى قوله : « وما يعلمان من أحد » نافية أيضاً ، أى لم يكفر سليمان ، ولم ينزل

على الملكين سحر ، ولم يعلماه أحداً حتى يقولا إنما نحن فتنة وابتلاء فلا تكفر ، بل ينهيان عنه أشد النهى ، ويحذران منه . (وفى هذا مقال لسنا بصدده الآن).

وإنك لترى من بين ثنايا هذه القصة مع ما اشتملت عليه من جمال التصوير حينما تتلوها أو تتلى عليك ، كيف تنتقش فى الذهن وتنطبع فى النفس مغبة أمر السحر ، وعاقبته التى تنذر بالحسرة والخسران المبين .

وبعد : فالسحر إظهار أمر خارق للعادة من نفس شريرة خبيثة ، بمباشرة أعمال مخصوصة يجرى فيه التعليم والتعلم . وبذلك يفارق المعجزة والكرامة . لذلك كان رأى جمهور العلماء فى شأنه أن له حقيقة ثابتة فى الخارج ، وأن له تأثيراً فى القلوب بالحب والبغض ، وبإلقاء الشرور ، حتى يحول بين المرء وقلبه ، وذلك بإدخال الآلام ، وعظيم الأسقام ، وكل ذلك مدرك بالحس والمشاهدة ، وإنكاره عناد ومكابرة .

وترى المعتزلة أنه لا حقيقة له ، وإنما هو تمويه وتخييل ، ومجرد إرادة ما لا حقيقة له ، بدليل قول الله تعالى « يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى » .

وغير خاف أنه أمر ممكن فى نفسه ، ومشمول لقدرة الله تعالى ؛ لأنه الخالق لكل شىء ؛ والساحر ما هو إلا كاسب ؛ وأن قول الله تعالى : « ويتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه ، وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله » ـ واضح الدلالة فى أنه أمر ثابت ، وأن له حقيقة فى الخارج .

وقد روى ابن عباس وعائشة رضى الله عنهم أن النبى صلى الله عليه وسلم سحر ، وتولى ذلك لبيد بن الأعصم اليهودى وبناته ، وهن النافثات فى العقد ؛ قال أبو عبيدة : النفاثات فى قول الله تعالى : « ومن شر النفاثات فى العقد » هن بنات لبيد بن أعصم اليهودى ، سحرن النبى صلى الله عليه وسلم .

وهذا لا يفضى إلى القدح فى نبوته عليه السلام ؛ لأن الله سبحانه وتعالى ما كان ليسلط عليه شيطانا إنسيا ولا جنيا ، يؤذيه فيما يتعلق بنبوته وعقله ، وأما الإضرار به من حيث بشريته وبدنه فلا بعد فيه ؛ لأنه يعرض له من حيث بشريته ما يعرض لسائر البشر من الصحة والمرض والموت والأكل والشرب .

مكتبتنا العربية

ألا ترى إلى أن رباعيته قد كسرت فى غزوة أحد ، ولم يقدح ذلك فيما ضمنه الله سبحانه وتعالى له من العصمة بقوله « والله يعصمك من الناس » : بل فى ذلك دلالة ظاهرة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وصحة معجزاته ، وكذب من نسبه إلى السحر والكهانة لأن سحر الساحر عمل فيه واعتراه نوع من المرض ، ولم يعلم أن ذلك ناجم عن السحر وأثر من آثاره ، حتى دعا ربه ، فنزل جبريل فأخبره بموضع السحر ، وبمن سحره ، ولو كان مايظهره الله من المعجزات الخارقة للعادات من باب السحر - على مازعم أعداؤه - ما اشتبه عليه الأمر ، ولتوصل إلى دفعه من عنده ؛ وهذا دليل من دلائل صدقه ، وآية كبرى من آيات نبوته ، صلى الله عليه وسلم ، وهدانا إلى الحق وسبيله القويم ؟ يتبع

قراء القرآن

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

قال النبى صلى الله عليه وسلم : « سيكون فى أمتى قوم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، هم شر الخلق والخليقة » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إن الزبانية لأسرع إلى فساق حملة القرآن منهم إلى عبدة الأوثان ، فيشكون إلى ربهم ، فيقول : ليس من علم كمن لايعلم » .

وقال الحسن : حملة القرآن ثلاثة نفر : رجل اتخذه بضاعة ينقله من مصر إلى مصر يطلب به ما عند الناس ، ورجل حفظ حروفه ، وضيع حدوده ، واستدر به الولاة ، واستطال به على أهل بلده - وقد كثر هذا الضرب من حملة القرآن - لا كثرهم الله عز وجل ! ورجل قرأ القرآن فوضع دواءه على داء قلبه ، فسهر ليله ، وهملت عيناه ، وتسربل الخشوع ، وارتدى الوقار ، واستشعر الحزن ، ووالله لهذا الضرب من حملة القرآن ، أقل من الكبريت الأحمر ! بهم يسقى الله الغيث ، وينزل النصر ، ويدفع الأعداء .

مفردات فلسفية

فلسفة (تتمة)

لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى
المدرس بكلية أصول الدين

إذا جئنا إلى التراث الإسلامى ، الذى تركه لنا أصحاب المعاجم والمفكرون والفلاسفة المسلمون ، لنعرف معنى كلمة « فلسفة » وما صدقها ، نرى أنهم كثيرا - وبخاصة أولى عهدهم بالتأليف - كانوا يستعملون كلمتى حكمة وحكيم ، فى معنى فلسفة وفيلسوف . ولعل مرجع هذا أن كلمة « حكمة » وردت فى القرآن على معنى أنها أشرف ما يؤتيه الله الإنسان من خير ، وكذلك كانت كلمة فلسفة لدى القدماء من اليونان تدل على أشرف معلوم .

وبعد أن قرأ المسلمون كتب فلاسفة اليونان التى نقلت إليهم ، أيام الخليفة المأمون ، ومن قبله أيضاً أيام الأمويين ، ووقفوا على تراثهم العظيم فى سائر نواحى التفكير ، أخذوا يكتبون فى الفلسفة ، وبدءوا بلا ريب بتعريفها : ومن هذه التعاريف ، فى جملتها ، نستطيع أن نتحقق أن الفلسفة بقيت فى معناها ومدلولها لدى المسلمين على ما كانت عليه لدى اليونان ، وأنه لم يكن من حظ فلاسفة الإسلام أن أعطوا للفلسفة معانى جديدة كالتى نراها لها فى أوروبا ، وبخاصة فى العصر الحديث .

١ - فالكندى ، كما نقل ابن نباتة المصرى فى كتابه : « سرح العيون » ، يذكر أن الفلسفة ثلاثة علوم ، لأن المعلومات ثلاثة : علم المحس ، وهو ذوات الهيولى ، وهذا هو العلم الطبيعى : وما يتصل بالهيولى - وإن كان ينفرد بذاته ، وهو علم الرياضيات - فإن المرء يستطيع أن يتصور بذهنه العدد مجرداً عن

مكتبتنا العربية

المعدود ؛ وما لا يتصل ألبتة بالهيولى ، أى لا فى الواقع ، ولا فى التصور ، وهو علم الربوبية .

وفى رسالته الى المعتصم بالله العباسى ، فى الفلسفة الأولى ، نشر صديقنا الدكتور الأهوانى ، يذكر الكندى « أن أعلى الصناعات منزلة وأشرفها مرتبة صناعة الفلسفة ، التى حدّها علم الأشياء بحقائقها بقدر الطاقة الإنسانية . . »

ومن هذا وذاك ، نرى الكندى يتابع أرسطو فى جعل الفلسفة معرفة كل أنواع العلوم ، وفى تقسيمها الى نظرية وعملية .

٢ — ثم جاء الفارابى يذكر فى كتابه « الجمع بين رأيى الحكيمين » أن الفلسفة هى العلم بالموجودات بما هى موجودة . وفى كتابه « التنبيه على سبيل السعادة » يقسم الفلسفة الى نظرية ، وهى علم التعاليم (أى الرياضيات) ، والعلم الطبيعى ، وما بعد الطبيعيات ؛ وإلى مدنية ، وهى علم الأخلاق ؛ وإلى سياسية ، وهى علم السياسة التى يساس بها أهل المدن .

على أنه فى رسالته : « ما ينبغى أن يتقدم قبل تعلم فلسفة أرسطو » ، نراه يوشك أن يقصر الفلسفة على ما بعد الطبيعيات ، أى على الفلسفة الإلهية وحدها . (يراجع ص ١٣ من الرسالة المذكورة طبع المطبعة السلفية بمصر) .

٣ — وإخوان الصفا الذين ظهرت رسائلهم الفلسفية فى القرن الرابع الهجرى ، يقولون (حـ ١ : ٢٣ طبعة مصر ١٩٢٨ م) : « الفلسفة أولها محبة العلوم ، وأوسطها معرفة حقائق الموجودات بحسب الطاقة الإنسانية ، وآخرها القول والعمل بما يوافق العلم » . وهى عندهم أربعة أنواع : الرياضيات ، المنطقيات ، الطبيعيات ، والإلهيات .

ومن هنا نجد أنهم لا يقسمون الفلسفة إلى نظرية وعملية كما صنع الفارابى ، ومن حذا حذوه من بعده ؛ ثم إنهم ، فى تعداد أنواع الفلسفة الإلهية ، نراهم يجعلون الأخلاق نوعا منها .

٤ — والخوارزمى - وإن لم يكن من الفلاسفة - إلا أن كتابه « مفاتيح العلوم » يعتبر مقدمة لابدّ منها لدراسة العلوم الإسلامية . فى هذا الكتاب يرى

أن معنى الفلسفة علم حقائق الأشياء ، والعمل بما هو أصلح ؛ وإذن تكون نظرية وعملية .

والجزء النظرى ثلاثة أقسام ؛ وذلك — كما يقول بحروفه ص ١٣٢ من طبعة أوربا — أن منه ما الفحص فيه عن الأشياء التى لها عنصر ومادة ، ويسمى علم الطبيعة ؛ ومنه ما الفحص فيه عما هو خارج عن العنصر والمادة ، ويسمى علم الأمور الإلهية ؛ ومنه ما ليس الفحص فيه عن أشياء لها مادة ، لكن عن أشياء موجودة فى المادة ، مثل المقادير والأشكال والحركات ، وما أشبه ذلك ، ويسمى العلم التعليمى أو الرياضى .

والفلسفة العملية ثلاثة أقسام أيضا : أحدها تدبير الرجل نفسه أو واحداً خاصاً ، وهذا علم الأخلاق ؛ تدبير الخاصة ، ويسمى تدبير المنزل ؛ والثالث تدبير العامة ، وهو سياسة المدينة والأمة والملة . وأقول : إن هذا القسم الثالث هو ما يصح أن نسميه اليوم « فن الحكم » .

٥ — وابن سينا فى هذا السبيل لا يكاد يخرج عن الفارابى ، إلا أنه يزيد عنه بالتوضيح والتمثيل لما يريد تبيانه .

فى رسالة الطبيعيات من مجموع رسائله المعرفة المنشورة بمصر والقسطنطينية يذكر أن الحكمة : استكمال النفس بإدراك الحقائق النظرية والعملية على قدر الطاقة .

والحكمة النظرية هى الطبيعية التى موضوعها الموجود ذو المادة من حيث ما يتغير ويتحرك ، والرياضية ، وموضوعها مخالط للمادة ، وإن كان من شأنه أن يجرده الذهن عنها وعن التغير ؛ ثم الفلسفة الأولى ، وموضوعها ما وجوده مستغن عن المادة والتغير مطلقاً ، والفلسفة الإلهية جزء منها ، وهى معرفة الربوبية .

أما الحكمة العملية ، فهى الحكمة المدنية أو السياسية ، والحكمة المنزلية ، والحكمة الخلقية .

وفى الكلام عن الفن الثانى عشر من كتاب الشفاء فى الإلهيات ، وذلك عشر مقالات ، يذكر فى الفصل الأول من المقالة الأولى أن العلوم الفلسفية

مكتبتنا العربية

تنقسم الى النظرية والعملية ، ثم يبين أن ما بعد الطبيعة ، التى هى القسم الثالث من أقسام الفلسفة النظرية ، تشمل الإلهيات وغيرها ، وسميت بالإلهية أحيانا باسم أشرف موضوعاتها ، وتسمى أيضاً بالفلسفة الأولى .

بعد ذلك يتبين أن الشيخ الرئيس يرى أن الفلسفة بالحقيقة هى الفلسفة الأولى ، وهى التى تفيد تصحيح مبادىء الفلسفة الطبيعية والفلسفة التعليمية أو الرياضية ، ثم المسائل الإلهية . وبهذا يكون ابن سينا قريبا جداً من شيخه الفارابى ، فى أن الفلسفة بالحقيقة هى الفلسفة الأولى ، أو ما بعد الطبيعة ، التى أهم موضوعاتها المسائل الإلهية .

وفى سبيل توضيح أن الفلسفة الأولى تفيد تصحيح مبادىء الفلسفات الأخرى ، يذكر ابن سينا فى الفصل الثانى من تلك المقالة الأولى : أن موضوع العلم الطبيعى هو الجسم من جهة ما هو موضوع للحركة والسكون ؛ وأما من جهة ما هو موجود ، ومن جهة ما هو جوهر ، ومن جهة ما هو مؤلف من الهيولى والصورة - ذلك ونحوه ، من مسائل ما بعد الطبيعة أو الفلسفة الأولى . وكذلك العلم الرياضى موضوعه إما مقدار أو عدد ، مجرد فى الذهن عن المادة ، أو مأخوذ فى الذهن مع مادة ؛ وأما إثبات المقدار والعدد بما هما موجودان ، وكيف وجودهما ، سواء كان كل منهما مجرداً أو فى مادة - ذلك ونحوه ، من مباحث علم ما بعد الطبيعة .

* * *

وأخيراً ، بعد استعراض تعاريف الفلسفة فى القديم والحديث ، وفى الشرق والغرب ، فى هذه المقالة والمقالة التى سبقتها ، وبعد استقلال علم النفس وعلم الأخلاق وعلم الاجتماع - نستطيع أن نقرر أن الفلسفة هى التفكير الحر فى الإله والكون ، أو هى معرفة حقائق الموجودات وعللها التى تنتهى لعلة أولى لكل الموجودات ، ما نرى منها ، وما لا نرى ؟

لغـويات

الـكتّـاب للمكتب أو موضع تعليم الصبيان

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد على النجار
المدرس بكلية اللغة العربية

وقع السؤال عن الكُتّاب لموضع تعليم الصبيان . وهو استعمال شائع من قديم ، ويجمع على كتاتيب . والذى دعا الى الشك فى عربيته أنه على صيغة جمع الكاتب ، وليس على صيغة المكان كالمكتب والمدرسة . والرأى أن الكتّاب فى هذا المعنى عربى تقوم عليه الشواهد اللغوية . فقد جاء فى كتاب العين [1] : « والمكتب والكتّاب موضع تعليم الكتاب » وقوله الكتاب يريد الكتابة . والعين ينسب الى الخليل بن أحمد المتوفى سنة ١٧٥ هـ ، أو الى تلميذه الليث ، وهو أقدم كتاب فى اللغة ، وتراه يجعل هذا المعنى للكتّاب ، وفى هذا دليل على أن هذا المعنى كان متعارفا للكلمة فى أيام مؤلفه ، وهو قريب من عصر الاحتجاج ، ويغلب على الظن أنه كان معروفا قبل ذلك . وقد تبع [2] صاحب العين الأزهرى والجوهرى والصاغانى فأثبتوا للكتّاب المعنى المشهور . وخالف عن هذا أبو العباس المبرد المتوفى سنة ٢٨٥ هـ فأنكر أن يكون الكتاب لموضع التعليم ، وإنما الكتّاب عنده لا يعدو أن يكون جمع كاتب . والمبرد فى هذا متأثر بمزاجه اللغوى ، ونظره القياسى : فالكتّاب صيغة جمع كالصُّوّام والقوام ، فلا تكون للمكان . وتراه يقول فى هذا : « [3] والكتاب : للصبيان ، ومن جعل الموضع الكتاب فقد أخطأ » وهذا صحيح بحسب الوضع الأصلى ، ولكن الشىء قد يطلق على ماله علاقة به ، وقد يشيع هذا فى اللغة حتى يلتحق بالحقيقة . فالكتاب — وأصله للصبيان يتعلمون فى المكتب — يطلق على المكتب نفسه لعلاقة المحلية أو المجاورة ، كما

---

(١) المخصص لابن سيده ، ج ١٣ ص ٤ . (٢) راجع شرح القاموس . (٣) انظر اللسان .

مكتبتنا العربية

يقال : حضرت من مشيخة الأزهر ، أى مقر شيوخ الأزهر وديوانهم ، وهذا سائغ مقبول . وإذا صح هذا الإطلاق وثبت السماع به تبين ضعف رأى المبرد ، وكنا فى سعة من الرغبة عنه . وقد تبع المبرد صاحب القاموس فرد على الجوهرى إثباته للمعنى الذى نتحدث عنه للكتّاب ، وجعله مما غلط فيه ، والمجد مولع بتخطئة الجوهرى ، فلا غرابة أن يسارع الى هذا ، وهو يجد فى رأى المبرد دعامة وسندا .

والباحث يجد نصوصا كثيرة ورد فيها الكتّاب لموضع التعليم فى العصر العباسى الأول لا سبيل إلى دفعها . فقد قال الشافعى[1] رضى الله عنه ـ كانت وفاته سنة ٢٠٤ ـ : «كنت ـ وأنا فى الكتاب ـ أسمع المعلم يلقن الصبى الآية فأحفظها أنا» وفى الأغانى[2] عن إسحاق الموصلى «أن أباه إبراهيم الموصلى أسلم إلى الكتاب فكان لا يتعلم شيئا» وفيه[3] أيضاً : «أن على بن جبلة لما نشأ أسلم إلى الكتاب» . وذكر الجاحظ فى البيان[4] والتبيين أن من أمثال العامة «أحمق من معلم كتاب» .

فأما ذكر الكتاب بعد العصر العباسى الأول ، فجاء منه قول البسّامى :

تعس الزمان ! لقد أتى بعجاب ... ومحا فنون الفضل والآداب

وأتى بكتّاب لو انبسطت يدى ... فيهم رددتهمُ إلى الكتّاب

والبسّامى هو أبو الحسن على بن محمد ، روى عنه أبو بكر الصولى ، وكانت وفاته سنة ٣٣٢ هـ ، وله ترجمة فى ابن خلّكان .

فأما الكتاب قبل العصر العباسى فتتضافر النقول على أنه كان أيضاً يطلق على موضع التعليم . فقد جاء فى مسند[5] الإمام أحمد بن حنبل فى حديث عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه : «قرأت من فى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة وإن زيد بن ثابت له ذؤابة فى الكتّاب» وعن عمر[6] بن عبد العزيز أنه سأله رجل عن الأهواء فقال : عليك بدين الصبى الذى فى الكتّاب ودين الأعرابى ، ودع ما سواه . وجاء الكتاب فى حديث فيه مقال ؛ فقد أورد الزمخشرى فى الكشاف فى آخر تفسير سورة الفاتحة ـ وتبعه البيضاوى ـ الحديث

---

[1] معجم الأدباء ج ١٧ ص ٢٨٤ . [2] ج ٥ ص ٣ . [3] ج ١٨ ص ١٠١

[4] ج ١ ص ٢٠٨ من الطبعة الثانية . [5] ج ١ ص ٤٠٥ .

[6] حاشية الباجورى على كفاية العوام فى علم الكلام ص ٢٣ .

الآتى : « وعن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن القوم ليبعث الله عليهم العـذاب حتما مقضيـاً ، فيقرأ صبيّ من صبيانهم فى الـكتاب الحمد لله رب العالمين ، فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العـذاب أربعين سنة » وكتب السيد الشريف على هـذا ما يأتى : « (فى الـكتاب) بضم الـكاف وتشديد الباء ـ يطلق على الـكتبة ، وعلى المـكتب أيضا ، وهو المراد هنا . وخـطّأ المبرد إطلاقه على المـكتب ، وردّ بنقل الليث إياه . فإما أن يكون حقيقة بالاشتراك ، وإما أن يـكون مجـازا ؛ لأنه موضع الـكُتّاب بمعنى الـكتبة جمع كاتب » ويقول الشهاب فى كتابته على البيضاوى : « وحديث حذيفة أسنده الثعلبى ، وقال العراقىّ : إنه موضوع ، وقيل : إنه ضعيف » وكانت وفاة الثعلبى المفسّر ـــ وهو أبو إسحق أحمد بن محمد بن إبراهيم ـــ فى سنة ٤٢٧ كما فى ابن خلّـكان .

التربية النَسَوية ، الثقافة النَسَوية

ينطق الناس فى هذه الأيام النسوية بفتح السين ، وهو نسبة إلى النِسْوة ، فـكان حق النسب أن يقال فيه النسوية بسكون السين كما فى المنسوب إليه . وتراهم يقولون : التعليم المِهْنى ، والظن أنهم ينطقون بسكون الهاء على الأصل . وقد جرى حديث فى نطق العامة النسوية بفتح السين ، وبحث فى التماس وجه لتصحيح هذا الاستعمال وتسويغه . وحدث حديث أيضا فيما جاء فى فقه المالكية من البلد العنوىّ أى الذى فتح عَنْوة ، فقد ذكر بعض الفضلاء أن الألسنة جرت على أن يقال العنوى بفتح النون على حين أنها ساكنة فى المنسوب إليه . ومما جاء من ذلك ما فى متن الشرح الـكبير فى فصل عقد الجزية : للعنوى أربعة دنانير أو أربعون درهما ، قال فى الحاشية : قوله للعنوى أى على العنوى وهو نسبة إلى العَنْوة وهى القهر والغلبة . وجاء فى الحاشية : « والجزية العنوية ما لزم الـكافر من مال لأمنه باستقراره تحت حكم الإسلام وصونه » .

وقد وجدت لذلك مساغا فى مذهب يونس بن حبيب المتوفى سنة ١٨٣ ، وهو شيخ سيبويه . فهو يجيز هذا التغيير فى النسب ويقول فى النسبة إلى عُروة

مكتبتنا العربية

عُرَوِىّ ، وإلى غَزْوة غَزَوِى ، وإلى قِدوة - بالكسر فى إحدى لغاتها - قِدَوِىّ . وهكذا يفعل يونس فى الثلاثىّ المعتل اللام المختوم بتاء التأنيث ، سواء أكان من بنات الياء أم من بنات الواو ، فيقول فى النسبة الى الفِتْية : الفِتَوى ، والى الدُمية الدُمَوِىّ ، وإلى الظَبْية : الظَبَوِىّ ، ويعتمد فى هذا على ما سمع من العرب ؛ فقد قالوا فى القرية : قَرَوِىّ ، وفى النسب الى بنى زِنْية - حىّ من العرب - زِنَوِىّ ، وفى النسب إلى البَطْية [1] بِطَوِىّ . ويوافق بعض الصرفيين يونس فى بنات الياء لا الواو ، ويحتج لهذا بأن السماع إنما ورد فى بنات الياء كما سبق لك فى هذا المقال . وبأن الفتح يفضى إلى قلب الياء واوا فيقال فى ظبية : ظبوى ، وهذا أخف من ظبي لما فيه من توالى الأمثال وهذا تستكرهه العرب ، فأما فى بنات الواو فلا يفضى الفتح إلى هذه الثمرة ، لوجود الواو فى المنسوب إليه . وأول من سلك هذا المسلك الخليل ابن أحمد فى تعليقه على رأى يونس ؛ فقد كان يعذره فى بنات الياء خاصة ويجيز قوله ، ويذكر سيبويه عنه احتجاجا لهذا القول على أثر اقتناعه بما سمع عن العرب ، فهو يقول إن العرب لو صاغت فعِلة بكسر العين - من الغزو لقالوا غزِية ، ولو سكنت العين تخفيفا لقيل غَزْية أيضا ولم ترجع الواو . فكانت فعلة - بسكون العين - سواء هى وفعِلة فى هذا ، فيحمل أحدهما على الآخر فى الأحكام اللسانية ، وإذا نسبت إلى غزِية قلت : غَزوى ، فكذلك إذا نسبت إلى غزْية قلت غزوى . وتراه ينزع فى هذا الرأى إلى قياس دقيق فى العربية لا يهتدى إليه إلا مثل الخليل ، وهل للخيل مثيل . فهذا ما يوافق فيه الخليل يونس ، وهى بنات الياء . فأما بنات الواو فلا يجيز الخليل فيها الفتح ، وهو يقول - كما فى الكتاب : « لا أقول فى غَزوة إلا غَزْوى . . ولا تقول فى غُدوة إلا غُدْوى . . ولا تقول فى عُروة إلا عُروى » .

هذا وسيبويه لا يجيز هذا فى كلا النوعين ، ويوجب تسكين العين ، ويقضى بالشذوذ على ما جاء بالتحريك ، كالقَرَوى والزِنَوِى والبِطَوى ، وتراه يقول

---

(١) يقول الرضى فى شرحه الشافية « البطية لقبيلة من العرب » ، ويذكر صاحب اللسان عن ابن سيده : إنه لم يقف لها على معنى ، واستظهر أن يكون هيئة من أبطيت لغة فى أبطأت .

فى الكتاب[1] ، وحدثنا يونس أن أبا عمرو كان يقول فى ظَبية : ظَبي ، ولا ينبغى أن يكون القياس إلا هذا ، فتراه لا يذهب إلى ماذهب إليه الخليل من تسويغ رأى يونس فى ذى الياء ، وإن كان يشدد النكير عليه فى ذى الواو ، ويذكر أنه مخالف لما سمع عن العرب ، فقد قالوا فى جِروة - وهم حى من العرب - جِرْوى بسكون العين ، ولم يقولوا : جِرَوى .

ولنا أن نعتمد رأى يونس فى هذا المقام ، فقد كان يونس نحوياً جليلا يشهد حلقته فصحاء الأعراب وفهماء العلماء . فأما التحريك فى بنات الياء فقد سمعت حجته من القياس والسماع على ما سلف لك . وأما التحريك فى ذى الواو - وهو ما يعنينا فى هذا المبحث - فبالحمل على النوع السابق ، ولأن فى التحريك من إطلاق اللسان ما ليس فى التسكين . فإن قال قائل : ولكن العرب لم تجر على التحريك فى هذا الضرب كما جرت فى ذى الياء بل جرت على خلافه إذ قالوا فى جِرْوه جِرْوى ، قلت . إن أبا عُبيد[2] حكى عن العرب غَزَوى فى النسب إلى غَزْوة : وقال : هو من نادر المعدول .

وبعد هذا لنا أن نطمئن إلى صحة ما جرى الناس عليه من قولهم النسوية بفتح السين ، والعَنَوى فى النسبة إلى العَنْوة . والله أعلم ؟

حماسة

قال ابن براقة الهمدانى :

كذبتم وبيت الله لا تأخذونها ... مراغمة بما دام للسيف قائم
متى تجمع القلب الذكى وصارما ... وأنفا حميا تجتنبك المظالم

وقال عمرو بن معد يكرب يصف صبره وجلده فى الحرب :

أعاذل عـــدتى بدنى ورمحى ... وكل مقلص سلس القياد
أعاذل إنما أفنى شبابى ... إجابتى الصريخ الى المنادى
مع الأبطال حتى سل جسمى ... وأقرح عاتقى حمـــل النجاد
ويبقى بعد حلم القوم حلمى ... ويفنى قبل زاد القوم زادى

---

[1] ج ٢ ص ٧٤ .
[2] انظر المخصص ج ١٣ ص ٩١

مكتبتنا العربية

سياسة المنزل

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ أبو الوفا المراغى
مدير المكتبة الأزهرية

إن الزواج وتكوين الأسرة شركة بين الرجل والمرأة طويلة المدى بعيدة الأمد، ولا تثمر هذه الشركة ثمرتها إلا فى جو من التعاون والتفاهم، وبروح من الإخلاص والنشاط، وشعور بتحقيق معنى المشاركة بينهما، وقد يمهد لهذا كله أن يعلم الرجل أنه بعد الزواج أصبح شخصا آخر ألقيت على كاهله مسئوليات الأسرة وتبعات الحياة الزوجية، وأصبح مسئولا يحاسب من الله ومن الزوج ومن الجماعة، وأن المرأة بين يدى الإسلام شريكة الرجل، لها من الحق ماله، وعليها من الواجبات ماعليه، ولا فضل إلا أن يقوم الرجل بما له من قوة الجلد وبسطة اليد واتساع الحيلة، فيلى رياستها، فهو بذلك وليها، يحوطها بقوته، ويذود عنها بدمه، وينفق عليها من كسب يده؛ فأما فيما سوى ذلك فهما فى السراء والبأساء على السواء، وأن تعلم المرأة أنها فى بيت زوجها غيرها فى بيت أبيها، فهى فى بيت أبيها طفلة - وإن كبرت - مستجابة الرغبة، يغضى لها عن القذى، ولا تُنال بالأذى، لا تشعر بمسئولية، وتأخذ قسطا من الحرية؛ أما بيت زوجها فهى عضو عامل تتعاظم مسئولياتها، وتحد بحكم الأحوال حرياتها.

ولله در العربية حين أوصت ابنتها ليلة الزفاف، فقالت: أى بنية: إن الوصية لو تركت لفضل أدب، تركت لذلك منك، ولكنها تذكرة للغافل، ومعونة للعاقل؛ ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لغنى أبويها وشدة حاجتهما إليها، كنت أغنى الناس عنه، ولكن النساء للرجال خلقن، ولهن خلق الرجال. أى بنية: إنك فارقت بيتك الذى فيه خرجت، وعشك الذى فيه درجت، إلى رجل لم تعرفيه، وقرين لم تأليفه، فكونى له أمة يكن لك عبدا، واحفظى له خصالا عشراً، يكن لك ذخرا:

أما الأولى والثانية: فالخشوع له بالقناعة، وحسن الطاعة.

« وأما الثالثة والرابعة : فالتفقد لموضع عينه وأنفه ، فلا تقع عينه منك على قبيح ، ولا يشم منك إلا أطيب ريح .

« وأما الخامسة والسادسة : فالتفقد لوقت منامه وطعامه ، فإن تواتر الجوع ملهبة مغضبة .

« وأما السابعة والثامنة : فالاحتراس بماله ، والإرعاء على حشمه وعياله ؛ وملاك الأمر فى المال حسن التقدير ، وفى العيال حسن التدبير .

« وأما التاسعة والعاشرة : فلا تعصين له أمرا ، ولا تفشين له سرا ؛ فإنك إن خالفت أمره أوغرت صدره ، وإن أفشيت سره لم تأمنى غدره . ثم إياك والفرح بين يديه إن كان ترحا ، والترح بين يديه إذا كان فرحا ؛ فإن الخصلة الأولى من التقصير ، والثانية من التكدير . وكونى أشد ما تكونين له إعظاما ، يكن أشد ما يكون لك إكراما ، وأشد ما تكونين له موافقة يكن أشد ما يكون لك مرافقة .

« واعلمى أنك لا تصلين إلى ما تحبين حتى تؤثرى رضاه على رضاك ، وهواه على هواك ، فيما أحببت أو كرهت ، والله يخير لك » .

بهذه الوصاة الرائعة تصورت العربية لابنتها المسئولية التى تستقبلها فى منزلها الجديد ، وواجباتها نحو زوجها . وفى الحق أنه تصوير رائع ، ودستور عملى كفيل أن تسعد به الزوجة والزوج ، وتسعد به الأسرة . وقد أقر الإسلام قواعد هذا الدستور العامة ، وجاءت آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية وأعمال النبى صلى الله عليه وسلم وأعمال الصحابة مؤكدة هذا الدستور مبينة له . وفى القرآن الكريم « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ، وبما أنفقوا من أموالهم » وفيه أيضا : « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة » .

وعن النبى صلى الله عليه وسلم : « لو كنت آمراً أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها » . وعن على كرم الله وجهه ، أنه قال لأعبد : ألا أحدثك عنى وعن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت أحب أهله إليه ؟ قال : بلى . قال : إنها جرّت بالرحى حتى أثرت فى يدها ، واستقت بالقربة حتى أثرت فى نحرها ، وكنست البيت حتى اغبرت ثيابها ، فأتى النبى صلى الله عليه وسلم بخدم ، فقلت لها : لو أتيت أباك فسألته خادما ! فأتته فوجدت عنده أحداثا فرجعت ، وأتاها من الغد

مكتبتنا العربية

فقال : ما كانت حاجتك ؟ فسكتت . فقلت : أنا أحدثك يا رسول الله : إنها جرّت بالرحى حتى أثرت فى يدها ، وحملت القربة حتى أثرت فى نحرها ، فلما أن جاء الخدم أمرتها أن تأتيك فستخدمك خادما يقيها حر ما هى فيه . فقال : اتق الله يا فاطمة وأدى فريضة ربك ، واعملى عمل أهلك ! !

هذه واجبات المرأة ، وهذه حقوق الزوج عليها . أما واجبات الزوج نحو زوجه ، وحقوقها عليه ، فأساسها قوله تعالى : « وعاشروهن بالمعروف » وقوله تعالى : « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف » وقوله صلى الله عليه وسلم : « أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم أخلاقا ، وخياركم خياركم لنسائكم » .

وأساس هذه الحقوق أن يعلم الزوج كما قلنا أن الزوجة شريكة فى كل شىء : شريكة فى إدارة المنزل ، وفى تربية الأولاد ، وفى معرفة طرق إيرادها وإنفاقه ، وأن لها فى ذلك رأيا يجب تقديره والعمل به إن بدا وجه الخير فيه ، لأن نتائج ذلك تتأثر بها المرأة كما يتأثر بها الرجل ، بل إن تأثرها به أشد ، لرقة طبعها ، ودقة إحساسها : وليس أدل على ما نقول مما حدث بين عائشة رضى الله عنها وبين النبى صلى الله عليه وسلم ؛ فقد روى أنه جرى بينهما كلام حتى أدخلا بينهما أبا بكر حكماً فى ذلك ، فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم : تكلمين أو أتكلم ؟ فقالت : بل تكلم أنت ، ولا تقل إلا حقا ! فلطمها أبو بكر رضى الله عنه حتى دمى فوها وقال : ياعبدة نفسها أو يقول غير الحق ! فاستجارت برسول الله صلى الله عليه وسلم وقعدت خلف ظهره . فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : لم ندْعك لهذا ، ولا أردنا منك هذا ! .

والعشرة بالمعروف من القواعد العامة الصالحة لكل عصر وفى كل بيئة ؛ والأعصر والبيئات تتغير فتتغير أعرافها معها ، وما عرف فى العصر الماضى غير ما عرف فى هذا العصر ، وما يعرف فى البيئات المدنية غير ما يعرف فى البيئات الريفية ، ومن المتعذر تفصيل مايعرف ، ولا يمكن وضع لائحة للأسرة يطلب الى الزوجين تطبيقها وتنفيذ موادها . وإذا قال الفقهاء فى تحديد واجبات الزوجة على زوجها : عليه أن يطعمها ، وأن يكسوها ، وألا يمنعها من زيارة أهلها ، وأن يغضى عن هفواتها تقديراً لطبيعتها ، وأن يلاطفها ويكف الأذى عنها ، وألا يسىء الظن بها ، وألا يتجاوز فى تأديبها حدود الطرق التى ذكرها الله فى آية التأديب ،

وأن يعينها فى شئون المنزل إن لم يكن لها خدم ، وأن يعدل بينها وبين غيرها من الزوجات إن كان له زوجات - إذا قال الفقهاء ذلك ، واستشهدوا له بما جاء فى القرآن وما ورد فى السنة ، فلا يقصدون تحديد واجبات الزوجة وحقوقها ، وإنما يقصدون بذلك ضرب الأمثال فقط ، لأن ما يجرى بين الزوجين من شئون الأسرة لا يمكن حصر جزئياته ، فكان من إعجاز القرآن إجماله فى قاعدة عامة تلائم كل عصر وكل بيئة . فما تعرفه البيئات الغنية مثلا أن الراديو من ضروريات الحياة ولوازم المنزل ، فإذا طلبته الزوجة من الزوج كان طلبها وجيها لا إعنات فيه ، وكذلك إذا طلبت سيارة أو تليفونا أو أن تصطاف فى مصيف كذا ، أما إذا طلبته زوجة من البيئات المتوسطة أو الدنيا ، كان طلبا ظاهر الإعنات جديراً بالرفض .

فأسس سعادة الأسرة ودوام هنائها أن يقدر كل من الزوجين أحوال الآخر ، وهذا ما يجمعه قوله تعالى : « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة » .

النابغة

بلغ النابغة الذبيانى الشاعر المشهور أن النعمان بن المنذر ملك الحيرة قد عرّض به ولامه : فخشى النابغة مغبة هذا اللوم ، فليس وراءه فى حكمهم إلا أن يأمر بضرب عنقه على طريقة أهل الجاهلية ، فأنشأ هذه الأبيات الأربعة ، ولم يقل أحد قبله ولا بعده أحسن منها فى معناها ، وهى :

أتانى أَبَيْتَ اللعن أنك لمُتنى ... وتلك التى تصطك منها المسامع
فبت كأنى ساورتنى ضئيلة ... من الرُّقش فى أنيابها السم ناقع
كلفتنى ذنب امرىء وتركته ... كذى العر يكوى غيره وهو راتع
فإنك كالليل الذى هو مدركى ... وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

مكتبتنا العربية

اليد العليا

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ ابراهيم على أبو الخشب
المدرس بكلية الشريعة

من حِكم النبوة الخالدة ، وروائعها الشاردة ، وآياتها البينات ، وعظاتها البالغات ، وفصاحتها العالية ، وبراعتها السامية ، قوله صلى الله عليه وسلم ، فيما يوقظ به القلوب النائمة ، والأفكار الواجمة ، لتسلك السنن السوى ، والصراط المستقيم : « اليد العليا خير من اليد السفلى » . وكثير من الناس ربما مرُّوا بهذه الجملة فلم يلفتهم منها سوى أنها كلمات تسجد لها جبابرة العقول ، وأساطين البيان ، وهو أسلوب لا يتأبى على من ألهمه الله الحكمة وفصل الخطاب ، وأدَّبه ربه فأحسن تأديبه ، وتحدى به البشر ، كما تحدى بكتابه القُوى والقُدر ، ولئن كان هنالك بعد الذى نزل به الروح الأمين من آيات ، أو وراء سحره من معجزات ، فهى تلك التى « يعمرها قلب متصل بجلال خالقه ، ويصقلها لسان نزل عليه القرآن بحقائقه ، فهى وإن لم تكن من الوحى ولكنها جاءت من سبيله . وإن لم يكن لها منها دليل فقد كانت هى من دليله ، محكمة الفصول حتى ليس فيها عروة مفصولة ، محذوفة الفضول حتى ليس فيها كلمة مفضولة » وأنماطه فى الحديث ، ومنهجه فى الكلام ، لا يخرج عن كونه بيانا فى الذروة ، وتعبيرا فى أسمى مراتب السمو ، إلا أنه إذا كان ترغيبا أو ترهيبا ، ووعدا أو وعيدا ، وإغراء أو تحذيرا ، كان له طنين ودوى وصَخَبٌ وعجيج ، وروعة تقتاد مجامع القلوب ، وتمتلك أزمة الأفئدة . . .

ولكن هل يلمحون المعنى ، مثلما ينطقون بالمبنى ، وهل يستشفُّون مغزاه ، ويفهمون مرماه ؟ أكبر الظن أن يقول قائلهم إنه حثٌّ على التصدق على الفقراء وامتداد يد المعونة إلى المحتاجين ، وتفريج كربة المكروبين ، والمسح بأصابع العطف والإحسان على قلوب المكدودين من اليائسين والمعوزين . والغنىُّ إذا تصور تعاليه بالإعطاء ، وتساميه بالبذل ، وترفعه بكونه صاحب المنة ، دفع عفو ما ينفق عن طيب خاطر ، وراحة ضمير . ولأنه قد أحضرت الأنفس الشح ؛ والناس

ليسوا كلهم سواء فى الإحساس بضرورة المجتمع ، يعيشون فيه ، ويتبادلون وأفراده المصالح ، وكان مما لابد منه أن يخاطبوا هذا الخطاب الذى يُرَقِّقُ من قسوة قلوبهم وغلظة أفئدتهم ، وجفوة طباعهم ، وتحجر عواطفهم ؛ وهكذا يبلغ الحال بالتصوير الطلى ، من رياضته للشامس ، وتذليله للنافر ، وتسكينه من جماح الصعب الأرن ؛ ولا حرج على فضل الله الذى صنع رسوله على عينه ؛ أن يؤيده بجوامع الكلم ، ورائع الحكم . وإذا كان المؤمنون فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر ، وإذا كان المجتمع هو الفرد الدائر — كما يقولون — وإذا كان العضو من الجسد يضر بالجسد كله حين لا توافيه المقادير بما يقوم به من زاد وشراب وهواء ، فكذلك الفقير المعدم إذا لم تتفق له ما تمس إليه ضرورة بقائه فى الحياة من مؤن وحاجات .

والتعاون والبذل والتصدق والمعروف بين الناس ضرورة اجتماعية أكثر منها شيئا آخر ؛ ولذا جاء فى الحديث « إنك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى ما تجعل فى فى امرأتك » . إلا أن بعض المتفلسفين يرى أن الدين الذى يحض على الصدقة ، ويأمر بالإحسان إلى الفقراء ، يغرى بالكسل ، ويشجع على البطالة ، ويسوق أهله إلى التواكل ، وهو إلى جانب هذا يستذل الأفراد بما يريقون من ماء وجوههم فى السؤال ، وسقوط همتهم بالاستجداء ، وهو ما يتنافى مع القضية « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .

وفى الحق أن الإسلام لا يرضى بالخنوع ، ولا يستسيغ الذلة ، ولا يغرى بإهدار الكرامة ، وسقوط الهمة ، ولا يحب لأهله أن يختاروا الدون من الخطط ، والخسف من الأمور ، والبخس فى القيم والأقدار « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » . والبر بالفقراء ، والبذل للبائس الملهوف ، والتصدق على أرباب الحاجات ، أشبه بحلال كالحرام ، ومباح كالمحظور ، وهو صلى الله عليه وسلم لابد أن يكون بكلمة « عليا وسفلى » يلوح الى تنفير هؤلاء الذين تقعد بهم عزائمهم ، وتنوء بهم أقدارهم ، وتسقط بهم قواهم ، فلا يصيرون بالجد والعمل ، والسعى والاكتساب ، والدأب والتحصيل ، فى مستوى المعطى لا الآخذ ، والباذل

لا المستجدى ، وفى عليا الدرجات لا فى الحضيض من المكانات ، ولأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب فيبيع خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه . وصح عند الفقهاء أنهم يكرهون أن يأخذ الفقير أكثر من حاجته . . . ويمدح الله سبحانه وتعالى المترفعين عن الطلب ، المتسامين عن مد أيديهم للأخذ ، إذ يقول « يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف » ، ويعلم الرسول أمته ـ جزاه الله عنها خير الجزاء ـ العفة والزهد ، وطرح هذا المتاع الزائل فيما يقول « ليس الغنى عن كثرة العرض ، إنما الغنى غنى النفس » وكذلك فيما يقول « لغدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها » .

ولا يقولن قائل : إنى أدعو الى مذهب جديد فى التربية الاجتماعية ، والنظم العمرانية ، فهذا هو ما يدعو إليه صميم الدين ، لأنه لم يرشد المتصدق الى الإخفاء بحيث لا تعلم شماله ماتنفق يمينه ، ولا يقول « قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى » إلا وهو معترف بما ينال العافى من ذلة ، ويلحقه من خزى :

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله عوضا ولو نال الغنى بسؤال

وخير كل الخير للشعب الذى يسمو للنهوض ، ويتطلع للمجد ، أن يوجه المتعطل إلى العمل ، والمعوز إلى طريق الكسب ، والمريض إلى الصحة ، والجاهل إلى العلم ، حتى لا يصبح فيه عضو أشل ، ولا فرد منبوذ . والأخذ بيد المجتمع نحو الرقى أحسن من الأخذ بيد الفرد نحو سد العوز ، ودفع الفاقة .. ولذلك فإننا حين نحارب فى الأمة الأعداء الثلاثة « الجهل والفقر والمرض » نكون قد عالجنا الأدواء من أصولها ، واجتثثنا العلة من جذورها .. وهذا هو الأحرى فيما أعتقد ، خصوصاً وقد اكتشف كثير من الناقدين أن معظم المتسولين يظهرون الفقر وهم أغنياء ، ويطلبون وهم غير محتاجين ، ويتخذون السؤال صناعة .. ونحن أمام هذا الاشتباه الذى صيرنا لا نستطيع التمييز بين المحترف المقترف ، وبين اللهيف الآسيف ، لنا العذر إذا لم نجب الصريخ ، ونلب دعوة الداعى . هدانا الله بهديه ، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه !!

ايساغوجى

لحضرة الأستاذ الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

١ — معنى اللفظ — عنوان الكتاب .

إيسا غوجى : لفظة يونانية Eisagoge ، مركبة من مقطعين : eis ومعناه : الى ، ثم agein يؤدى أو يفضى . والمقصود من يؤدى ، أو يفضى ، أو يقود الى : المدخل . هذا هو المعنى المادى المحسوس ، ثم نقل الى المعنى المعقول أى المقدمة أو الفذلكة .

ولما ترجم العرب الكتب اليونانية أدرجوا كثيراً من ألفاظها بنصها ، وعرفوا معانيها وما تدل عليها . فنحن نجد أرثماطيقا ، وجومطريقا ، وأنالوطيقا ، وموسيقى ، وغير ذلك مما نقرؤه فى كتب المتقدمين . فلما تأخر الزمن عُرِّبت بعض هذه الألفاظ ، وبقى بعضها الآخر كما هو ، ونحت بعضها الثالث . عربوا أرثماطيقا بالحساب ، وجومطريقا بالهندسة ، وأنالوطيقا بالتحليل ، وبقيت موسيقى كما هى مع تغيير النطق بما يلائم طبيعة اللسان العربى ويتفق مع فصاحة العرب ، ويباعد بينهم وبين عجمة الأعاجم . ونحتت ألفاظ أخرى كالفلسفة ؛ فإن أصلها فيلوسوفيا ، كما هو معروف .

إيساغوجى إذاً من هذه الألفاظ اليونانية التى دخلت اللغة العربية واحتفظت بأصلها اليونانى ، مع اختلاف النطق وانقلاب الجيم غينا ، وهما حرفان فى المخرج متقاربان .

ولا ريب فى أن أبا عثمان الدمشقى ، وأبا على عيسى بن إسحاق زرعة ، ويحيى بن عدى ، ممن نقلوا وشرحوا إيساغوجى فى القرن الثالث والرابع الهجرى — كانوا يعرفون هذا الاصطلاح اليونانى وأن معناه المدخل أو المقدمة الى المنطق ؛ لأنهم كانوا يعرفون اليونانية أو السريانية وينقلون عنهما ، وكانوا هم المشتغلين بهذه العلوم ، المشتهرين بها .

مكتبتنا العربية

فلما انقضى زمن النقل ، وترجمت الكتب من اليونانية والسريانية إلى العربية ، لم يسع علماء المسلمين الى تعلم لغة الإغريق ومعرفتها ، حتى إذا تقادم العهد بالعلم بها ، أوّلوا معنى هذه اللفظة اليونانية تأويلا يوغل فى الإغراب ويدعو الى العجب ، كلما بعد العهد وتقادم الزمن .

وهذا شيء من طبيعة كل لغة ، لأن اللغات كائنات حية تخضع لما تخضع له الحياة من سنة الكون والفساد والنشأة والممات .

يضطرب أثير الدين الأبهرى من علماء القرن السابع فى معنى إيساغوجى فيقدم لنا أربعة مدلولات ، لم يرجح أحدها على الآخر إلا لو قلنا إنه يختار الأول لأنه ابتدأ به وقدمه . وهذه المعانى بحسب ترتيبها هى :

أولا : معناه الكليات الخمس : الجنس ، والنوع ، والفصل ، والخاصة ، والعرض العام .

ثانيا : وقيل معناه المدخل ، أى مكان الدخول فى المنطق .

ثالثا : سُمى ذلك به ، باسم الحكيم الذى استخرجه ودوّنه .

رابعا : وقيل باسم متعلم كان يخاطبه معلمه فى كل مسألة بقوله : يا إيساغوجى الحال كذا وكذا .

وجاء المتأخرون فاشتطوا فى التأويل ، وذهب بهم التخمين كل مذهب : قال الشيخ الحفناوى من المتأخرين [1] : إنّ اسم الحكيم أرسطوطاليس ، ولم يمض قرن من الزمان حتى نهض الشيخ عليش [2] يحقق معنى هذا اللفظ مع جهله باللغة اليونانية ، فجاء بالعجب ، ومايشبه الملح والفكاهات ! قال : « إيساغوجى مركب من ثلاث كلمات فى لغتهم : إيسا ، ومعناه أنت ، وأغو ، ومعناه أنا ، وأكى - بالكاف - ومعناه ثم بفتح المثلثة ، أى اجلس أنت وأنا هناك نبحث فى الكليات الخمس .

---

(١) ألف حاشيته ١١٧١ هجرية . - المطلع على متن إيساغوجى فى المنطق . حاشية الحفناوى - ٦٨ صفحة مطبعة مصطفى الحلبى - ١٣٥١ هـ . [ص ١١] .

(٢) حاشية الشيخ عليش على إيساغوجى - ١٢٤ صفحة - المطبعة الوهبية - ١٢٨٤ هـ . [ص ٢١]

ثم نقله المناطقة بعد الكاف جيما ، وحذف همز الكلمتين الأخيرتين ، للكليات الخمس » .

ثم زاد فى التحقيق فقال : « والمشهور أن إيساغوجى اسم لوردة ذات أوراق خمس ، فنُقِل للكليات للمشابهة فى الحسن » .

ويبدو أن المسلمين فى هذا العصر قد أخذوا فى سبيل النهضة الحقيقية ، وعادوا الى الطريق الصحيح والمنهج السليم ، فنحن نرى الشيخ محمد شاكر وكيل الجامع الأزهر يؤلف من أربعين عاماً الإيضاح لمتن إيساغوجى ويقول : « هى كلمة يونانية معناها الكليات الخمس ، ولغرابتها عن اللغة العربية اشتهر هذا الكتاب بها حتى صارت كالعلم عليه ؛ فيقال : إيساغوجى ، ويراد به الكتاب بأجمعه ، لا هذا الفصل وحده »[1] .

ولا ريب فى أن فهم الشيخ شاكر أدنى الى العقل ممن يقول إن إيساغوجى يعنى « وردة » ، أو « أنت وأنا وثم » ، وما الى ذلك من التخبط والتخليط والإغراب .

والصواب ما ذكرناه فى صدر هذا الكلام ، والمقصود : المقدمة أو المدخل ، كما فطن الى ذلك الأبهرى فى أحد معانيه .

وكانت عادة المتقدمين أن يؤلفوا « المداخل » الى العلوم ، مثل المدخل الى الموسيقى المنسوب الى الكندى ، والمدخل الى الرياضة ، وهكذا .

٢ — المؤلف :

ليس مؤلف إيساغوجى كما زعم بعض المتأخرين ـ أرسطو ، وإنما هو : فرفريوس الصورى[2] .

ولد فى مدينة صور فى ساحل الشام عام ٢٣٣ بعد الميلاد ، واتصل بأفلوطين فى روما عام ٢٦٣ حيث أخذ عنه ، واضطلع بنشر مذهبه ، فكتب « المدخل إلى المعقولات » اعتمد فيه على تاسوعات أفلوطين لبيان طبيعة النفس والعالم المعقول .

---

(١) الايضاح لمتن إيساغوجى ـ الشيخ محمد شاكر ـ الطبعة الثانية ـ ٨٦ صفحة ـ مطبعة النهضة ١٩٢٦ م [ص ٢٣] .

[٢] انظر يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ـ الطبعة الثانية ص ٢٩٨ ، ١٣١ .
Brehier : Hist de la Phil. Periode Hellenistique P. 471-472.

مكتبتنا العربية

وقد جنح به ذوقه الشخصى نحو الزهد ، فمال إلى المذهب الفيثاغورى ، وألف كتاب « الامتناع عن أكل اللحم » يدافع فيه عن النباتيين .

وهو مؤرخ كذلك ، له كتاب « حياة فيثاغورس » ، و « تاريخ الفلاسفة » ذكر أخبارهم إلى أفلاطون .

ويعد شارحاً لأرسطو . ذكر القفطى أن له شرحاً على السماع الطبيعى ، وقاطيغوراس ، وبارى أرمنياس ، وكتاب الأخلاق .

وله المدخل إلى مقولات أرسطو ، المعروف باسم إيساغوجى .

وتوفى عام ٣٠٥ بعد الميلاد .

والاجماع منعقد بين سائر المؤرخين على أن شهرة فرفريوس هى فى كتابه إيساغوجى الذى لقى حظاً كبيرا من التأثير فى المنطق عند المسيحيين والمسلمين على السواء ، خلال العصر الوسيط .

إيساغوجى

٣ ــ التراجم والشروح :

وأول من شرح إيساغوجى من فلاسفة المسيحيين بوتيوس Boetius ولد فى روما حول ٤٧٠ بعد الميلاد ، وتوفى ٥٢٥ . طلب العلم فى روما أولا ثم فى أثينا ، واتصل بملك الغوط تيودريك Theodoric ، واتهم بالمؤامرة على حياته فاعتقل وسجن ، ثم نفى .

وله آثار كثيرة فى الفلسفة ، أشهرها فى المنطق .

نقل إيساغوجى إلى اللاتينية وشرحه :

وشرح من كتب أرسطو المنطقية : المقولات ، والعبارة ، والتحليلات الاولى ، والثانية ، والجدل . وبذلك أصبح بوتيوس رأس المناطقة فى مستهل العصر الوسيط ، وحاول أن يشرح أرسطو بحسب فلسفة أفلاطون ، ذلك لأنه كان يتبع شرح فرفريوس [١] .

[١] انظر يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الأوربية فى العصر الوسيط ص ٥٩ - ٦١ . ــ و
Gilson : La Philosophie au Moyen age, P. 471-472.

كانت المشكلة العظيمة فى المنطق هى الكليات ، التى دار حولها الجدل خلال العصر الوسيط .

ويبدأ هذا الجدل من عبارة وردت فى إيساغوجى ، يقول فيها : إنه بعد أن يدرس الأجناس والأنواع ، فسوف يبحث هل هذه الأجناس والأنواع حقائق تقوم بنفسها خارج العقل ، أو أنها مجرد تصورات فى الذهن . وإن كانت حقائق خارجية فهل هى جسمية أو لا جسمية ؟ وإن كانت لا جسمية فهل هى مفارقة للمحسوسات أو لا توجد إلا فى المحسوسات . على أن فرفريوس أبى فى إيساغوجى ، لأنه كتاب وضع للمبتدئين ، أن ينظر فى هذه المشكلة العويصة المتصلة أوثق الاتصال بما بعد الطبيعة .

وإذا كان فرفريوس قد آثر أن يتجنب هذه المشكلة ، فلا يميل ناحية أرسطو أو ناحية أفلاطون ، فإن بوتيوس قد اتجه وجهة أرسطو .

هذا ما كان من شأن إيساغوجى فى الفلسفة المسيحية الغربية ، أو مأنا إلى طرف منه لبيان أثر ذلك الكتاب فى الغرب .

ونتحدث عن أثره فى الشرق ، وكيف انتقل إلى المسلمين :

أقدم ما نجده فى كتب التاريخ عن ترجمة عربية لإيساغوجى هو لأبى عبد الله ابن المقفع « أول من اعتنى بترجمة الكتب المنطقية لأبى جعفر المنصور . ترجم كتب أرسطوطاليس المنطقية الثلاثة وهى كتاب قاطيغوراس ، وكتاب بارى أرمنياس ، وكتاب أنالوطيقا . وذكر أنه ترجم إيساغوجى تأليف فرفريوس الصورى »[1] .

فإن صح ذلك يكون ابن المقفع قد نقله عن الفارسية ، وتكون كتب أرسطو وغيرها من الكتب اليونانية قد نقلت إلى الفارسية .

والثابت أن كتب الفلسفة اليونانية نقلت إلى السريانية ، وعنها وعن اليونانية نقل إيساغوجى قسطا بن لوقا ، إذ يذكر القفطى أن له « المدخل إلى المنطق » . والكندى له كتاب « المدخل المنطقى المستوفى » ، وكتاب « المدخل المختصر » .

---

(١) القفطى ص ١٤٨ :

مكتبتنا العربية

ويذكر صاحب كشف الظنون أن أبا العباس أحمد بن محمد بن مروان السرخسي المقتول سنة ٢٨٦ له مختصر إيساغوجي .

وتأتي بعد ذلك طبقة أخرى في القرن الرابع الهجري قامت بالتعليق على إيساغوجي وشرحه ، منهم أبو نصر الفارابي ، له كتاب « تعليق إيساغوجي على فرفريوس » ومتى بن يونس ، وله « تفسير كتاب إيساغوجي لفرفريوس وهو المدخل إلى المنطق » .

ومن تلامذة هؤلاء يحيى بن عدى « نزيل بغداد ، انتهت إليه رئاسة أهل المنطق في زمانه ؛ قرأ على أبي بشر متى بن يونس ، وعلى أبي نصر الفارابي .

ثم نجد من تلامذة يحيى بن عدى ، الحسن بن سوار المعروف بابن الخمار ، بغدادي فاضل منطقي ، له كتاب تفسير إيساغوجي مشروح ، وكتاب تفسير إيساغوجي مختصر .

ومن الطبيعي أن يتعرض أبو علي بن سينا في أوائل القرن الخامس لإيساغوجي عند الكلام على المنطق . وله في صدر الشفاء ، في الجزء الخاص بالمنطق ، وهو لم يطبع بعد ، شرح طويل . ولو أنه يعارض فرفريوس في بعض المواضع [٢] .

وقامت لابن سينا مدرسة على يد شراحه ، منها مدرسة الفخر الرازي المتوفى سنة ٦٠٦ والذي وقف نفسه على فلسفة ابن سينا واختصرها وشرحها وعارض بعض مسائلها .

وتفرعت عن طريق الرازي مدرسة كبيرة ، كما يحدثنا ابن العبري في تاريخه إذ يقول « وفي هذا الزمان في حدود سنة ٦٣٢ ، كان جماعة من تلامذة الإمام فخر الدين الرازي سادات فضلاء ، أصحاب تصانيف جليلة في المنطق والحكمة ، كزين الدين الكشي ، وقطب الدين المصري بخراسان ، وأفضل الدين الخونجي بمصر ، وشمس الدين الخسروشاهي بدمشق ، وأثير الدين الأبهري بالروم .

السلسلة متصلة إذن من الكندي الى الفارابي ، ومن الفارابي الى ابن سينا ، ومن ابن سينا الى الرازي ، ثم الى أثير الدين الأبهري .

---

(٢) Lakkour : L'Organon d'Aritote dans le monde Arabe P. 70-77

وإذا كانت الأرزاق حظوظاً مقسومة ، فالكتب كذلك حظوظ . وكان من حظ الأبهرى أن يشتهر فى القرن السابع بكتابه عن إيساغوجى ، أو كما يقول حاجى خليفة « والمشهور المتداول فى زماننا هو المختصر المنسوب الى الفاضل أثير الدين المفضل بن عمر الأبهرى المتوفى فى حدود سنة ٧٠٠ .

وله شروح وحواشى ، منها :

شرح حسام الدين السكاكى المتوفى سنة ٧٦٠ . ومن الحواشى حاشية البردعى ، وعليها حاشية ليحيى بن نصوح بن إسرائيل . ومن حواشى شرح الحسام حاشية محيى الدين التالجى ، وحاشية الشروانى ، وحاشية لمولانا قرجة أحمد المتوفى ٨٥٤ . وحاشية الفاضل الأبيوردى ، وحاشية لبعض المنطقيين .

ومن شروح إيساغوجى شرح الفاضل العلامة شمس الدين محمد بن حمزة الفنارى المتوفى ٨٣٤ . وهو شرح دقيق ممزوج لطيف ، وعلى هذا الشرح حواشى أيضا أدقها وألطفها حاشية الفاضل الشهير بقول أحمد بن محمد بن خضر . وعلى هذه الحاشية تعليقات توجد فى الهوامش . ومنها الفرائد السنية ، والفوائد الفنارية لأبى بكر بن عبد الوهاب الحلبى . ومن الحواشى على شرح الفنارى حاشية برهان الدين بن كمال الدين المسماة بالفوائد البرهانية .

ومن الشروح شرح خير الدين التبليسى . وشرح الشيخ شهاب الدين أحمد ابن محمد الشهير بالأبدى . وشرح الشريف نور الدين على بن ابراهيم الشيرازى تلميذ الشريف الجرجانى المتوفى بالمدينة سنة ٨٦٢ هـ . وشرح مصلح الدين مصطفى ابن شعبان السرورى المتوفى ٩٦٩ هـ . وشرح الشيخ زكريا بن محمد الانصارى القاهرى المتوفى سنة ٩١٠ هـ . وشرح الفاضل عبد اللطيف العجمى ، وأهداه الى السلطان علاء الدين . وشرح أبى العباس أحمد بن محمد الآمدى . وحكيم شاه محمد بن مبارك القزوينى المتوفى ٩٦٦ هـ . وشرح خير الدين خضر بن عمر العطوفى المتوفى سنة ٩٠٠ هـ . وشرح محمد بن إبراهيم بن الحنبلى الحلبى ، وهو على تصوراته ، ومن شروحه مطالع الأفكار .

ونظم إيساغوجى لنور الدين على بن محمد الأشمونى فى حدود ٩٠٠ هـ .

ونظم الشيخ عبد الرحمن بن سيدى محمد ، وسماه السلم المنورق ، ثم شرحه .

مكتبتنا العربية

ونظم الشيخ إبراهيم الشبشيرى المتوفى سنة ٩٢٠ هـ . وهو تائية ، ثم شرحها .

نقلنا إليك هذه الشروح والحواشى الكثيرة عن كشف الظنون ليتبين لك الحظ الغريب الذى ناله متن إيساغوجى لأثير الدين الأبهرى .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، لأن حاجى خليفة لم يذكر إلا الشراح حتى القرن العاشر ، ثم ظهرت فى مصر على ما نعلم ، حواشى على شرح الأنصارى لمتن إيساغوجى ، منها حاشية يوسف الحفناوى ١١٧١ هـ وحاشية حسن العطار سنة ١٢٣٦ هـ وحاشية محمد عليش المالكى سنة ١٢٨٣ هـ . وشرح محمد شاكر سنة ١٣٢٥ هـ ؟

الشكر

قال عبد الله بن عباس : لو أن فرعون مصر أسدى الىّ يداً صالحة لشكرته عليها !.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وقال حكماء المسلمين : إذا قصرت يداك عن المكافأة ، فليطل لسانك بالشكر .

وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة رضى الله عنها تنشد أبيات زهير بن جناب :

ارفع ضعيفك لا يحربك ضعفه ... يوما فتدركه عواقب ما جنى
يجزيك أو يثنى عليك فإن من ... أثنى عليك بما فعلت فقد جزى

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : صدق ياعائشة : لاشكر الله من لايشكر الناس .

وأنشد الرياشى :

إذا أنا لم أشكر على الخير أهله ... ولم أذم البخس اللئيم المذمما
ففيم عرفت الخير والشكر باسمه . ... وشق لى الله المسامع والفما

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

لفضيلة الأستاذ الشيخ على عبد المنعم عبد الحميد
المدرس بالأزهر

روى مسلم فى صحيحه عن أسامة بن زيد قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق[1] أقتاب[2] بطنه ، فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى ، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون : يافلان ، مالك ! ألم تكن تأمر بالمعروف[3] وتنهى عن المنكر ؟ فيقول : بلى ! قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه[4] وأنهى عن المنكر وآتيه[5] » .

* * *

الدار الآخرة أمر لا ريب فيه « زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا ، قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم ، وذلك على الله يسير » . والدنيا تحمل فى حوادثها دلائل فسادها ، وبراهين زوالها . وقد أجمع العقلاء منذ القدم على أنه لابد من حياة تتلو هذه الحياة ، فيها يجد المرء جزاء ما قدم من خير ، وما اكتسب من إثم : « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » . وما أنكر ذلك إلا من كانت أفكاره فجة ، ومعلوماته بدائية ، مارقت فى سلم المعرفة درجة واحدة .

---

(١) اندلق الشىء : خرج من مكانه ، والسيل : اندفع ، والسيف : انسل بلا سل أو شق جفنه فخرج منه . والمراد هنا : أن أمعاءه تخرج بسرعة .

(٢) « الأقتاب » الأمعاء واحدها قتب (بكسر القاف) ويطلق أيضاً على ما استدار من البطن .

(٣) المعروف : كل ما أمر الشارع باتباعه وهو ما ليس بمنكر ، والمنكر كل ما نهى الشارع عنه وحذر منه .

(٤) أى لا أفعله (٥) أى أفعله .

والله سبحانه وتعالى خبير بخلقه كل الخبرة ، عالم بالجزئيات والتفصيلات ؛ فهو إذا وصف العلة فقد أوفى على القصد ، وإذا دل على الدواء فهو العليم الحكيم : جعل ذلك الرب البصير ، الحياة التى نحياها على ظهر البسيطة مجازاً ومسلكاً إلى الدار الباقية ، كما جعلها مزرعة ، ووكل إلى كل صنف من الناس نوعا من المزروعات يقومون عليه ، ويعملون جاهدين على تنميته ، والمحافظة عليه ، وأخبر أن لكل عامل أجراً يقل ويجل حسب العمل وكفاءة العامل ، واختار قوماً يتولون مراقبة التنفيذ لأوامره ، ومعهم موازين دقيقة يعرفون بها المجيد ذا الهمة الوثابة ، من المهمل المتكاسل المتوانى ، وأمرهم بتوجيه الزراع على اختلافهم ، كما أمرهم بمراقبتهم .

هؤلاء الهداة هم الرسل والأنبياء ، عليهم صلوات الله وسلامه ، وأتباع الرسل والأنبياء . فالأولون يؤدون مهمة التأسيس ، مهمة البناة القادة ، وأتباعهم المتلاحقون يتولون حراسة الفكرة وهى نبتة صغيرة ، ويتعهدونها حتى تنمو وتزدهر وتؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ؛ فلو أن وارثى مجد الإسلام حافظوا على ميراثهم ، وحفظوا وصايا قائدهم الأول صلى الله عليه وسلم ، لسموا ونشروا راية هدايتهم خفاقة عالية على ربوع الكون وجميع أصقاعه ، وأراحوا العالم من مروبه المتلاحقة ، وبغضائه المستمرة ، ولأناروا دياجيره ، وأضاءوا حنادسه .

وكأنى بالرسول الكريم كان يعرف ماسيصير إليه أتباعه بعد أن يفتح الله عليهم الدنيا ، وبعد أن تفرغ لهم الأرض كنوزها ، من إهمال وتقصير فى أمر الدعوة ، وإخماد الشعلة المضيئة فى أيديهم : كأنه صلى الله عليه وسلم كان يعرف ذلك ، فحذر عاقبته وأنذر وكلاه على خلق الله بالعذاب الشديد والعقاب الأليم إن أهملوا أو توانوا ، وأوصى وأطال فى وصاياه بمتابعة العمل للقول ، وموافقة فعل الناصح لنصحه ، ووضع أسس ذلك فى سيرته بين أصحابه المعاصرين له . فقد كان يقول لهم دائما ، اعملوا كما ترونى أعمل ، وأخذ عنه ذلك صحابته ، فكانوا يحاسبون أمراءهم إذا رأوا منهم حيدة فى عملهم عن قولهم ولو ظاهرا ، حتى إن رجلا فى عهد عمر ابن الخطاب رضى الله عنه قال له : لانسمع لك ! وقد وقف يخطبهم ؛ فقال عمر : لماذا لا تسمع ؟ فقال الرجل : لأنك ميزت نفسك عنا ولبست قميصين ، وقد

مكتبتنا العربية

أعطيت كل واحد منا قميصا واحدا مما أفاء الله عليك من الخراج ، فقال عمر رضوان الله عليه : قم ياعبد الله بن عمر ؛ فقام فسأله : لمن هذا القميص الذى أرتدى ؟ فأجابه عبد الله : هو لى يا أمير المؤمنين وقد سمحت لك بارتدائه لخروق أصابت قميصك !. فقال عمر لصاحبه : أسمعت مقالة عبد الله ؟ قال نعم ؛ الآن قل نسمع لك !

وفى احتكام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، واليهودى إلى القاضى شريح ، مثل أعلى لنزاهة الحاكم وقوة إيمانه بقوانين العدالة ، وشدة يقينه بمراقبة أحكم الحاكمين ، فهو لا يخشى إلا الله ، ويخشى أن يقال له إذا جار : أين أنت يا شريح من قول الله تعالى « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » .

مضى هؤلاء ، وخلف من بعدهم خلف أضاعوا النصح القويم ، واتخذوا العلم والتعليم والهداية والإرشاد حرفة يطلبون لها أجرا ، ولا يجمعون بين أقوالهم وأفعالهم : فهم كالمريض بعلة خاصة يصف دواءها لمريض آخر بها ، ولا يداوى نفسه منها ، فغيره سينجو ، وهو سيهلك لا محالة ؛ هذا إن صدق الآخر قوله ، أما إذا كذبه بشاهد من عمله فقد قضى على نفسه ، وعلى غيره ؛ فهو جان جنايتين ، ومرتكب إثمين ؛ فلا عجب أن يجىء يوم القيامة عالم لم يعمل بعلمه ويطرح فى النار ، وتفعل به الأفاعيل ؛ ولا عجب أن يتساءل أهل النار ويسألونه عن سوء منقلبه وقبح مصيره ، وهو الداعى إلى الخير فى الدنيا والحاث على الفضيلة فى الدار العاجلة ؛ وإذا عرف أهل النار علة قدومه إليهم ، ووفوده عليهم ، ومشاركته لهم فى جحيمهم — وهو إهماله العمل بما علم — حينئذ يزول عجبهم ، وينقطع تساؤلهم ، وينقضى استنكارهم لمآله وسوء منقلبه .

هذا ، ونظرة فيما نحن فيه من إحن ومحن ، وبلاء وعذاب ، وتقهقر وتدهور ، مع كثرة المرشدين إلى طرق الإصلاح ، ووفرة الداعين إلى الرشاد — تريك صدق ما كان يخافه النبى العظيم على أمته من ترك العمل والاكتفاء بالقول . . .

فما نراه ونشاهده من تأخر فى أحوال المسلمين خاصة ، والشرق عامة ، ناشىء من أنهم مُنُوا بقوم يقولون ما لا يفعلون ، يرشدون إلى النافع فى خطبهم ، ويطعمون الجائع ويكسون العارى فى أحاديثهم الخاصة والعامة ؛ ولكن إذا

جئت تبحث عن الآثار العملية ، بؤت بالخيبة ، ورجعت خاوى الوفاض حتى من خفّى حنين ! . وهذا يربى فى أبناء الأمة روح الاستهتار بما يسمعون ، ويجعلهم كلما رأوا ناصحا أو سمعوا وعدا ولم يجدوا تنفيذا قالوا : تلك شنشنة نعرفها من أخزم ! ورددوا قول القائل :

وغير ذى تق يأمر الناس بالتق طبيب يداوى والطبيب مريض

وقالوا مع أبى العتاهية :

وصفت التقى كأنك ذو تق وريح الخطايا من ثيابك تسطع

وقد قلنا إن السابقين الأولين كانوا يحافظون على أن تكون أفعالهم طبق أقوالهم ، ويرون فى مخالفة ذلك الفسادَ الظاهر ، والخطر الداهم على كيان الأمة ، خلقيا واجتماعيا وعمرانيا : فأما خلقيا فبانتشار الكذب بين الناس ، وتعودهم النفاق ، ومخالفة ما يفعلون لما يقولون : وهذا يودى بالمجتمع التام ، حيث لا يثق شخص بآخر ، ولا يركن إلى عدته ، بل ويستريب فى كل حديثه ، ولا يصدق مقاله أبدا : وبذلك تتعطل مصالح العباد ، ويعم الفساد .

من أجل ذلك شدّد رسول الله صلى الله عليه وسلم النكير غاية التشديد على الذين تخالف أفعالهم أقوالهم ، وأوعدهم بعذاب الله لهم فى الدار الآخرة ، فقال عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام « أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه » . وروى حماد بن سلمة عن على بن زيد عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليلة أسرى بى مررت على ناس تقرض شفاههم بمقاريض من نار ، فقلت : ياجبريل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الخطباء من أهل الدنيا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب ، أفلا يعقلون » .

فاللهم اجعلنا ممن إذا قالوا فعلوا ، وإذا علموا عملوا ، وإذا سمعوا القول اتبعوا أحسنه : وألق الهداية فى قلوب ولاة الأمة الإسلامية ، وحب العمل لما يرفع عن المسلمين إصرهم ، ويزيل إحنهم وبلاءهم ، ويوائم بين مختلف طبقاتهم وهيئاتهم ، فقد قلت وقولك الحق « وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب ، أجيب دعوة الداع إذا دعان ، فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون » .

سياسة القول

لفضيلة الأستاذ كامل عجلان
المدرس بالأزهر

يظلنا عصر السرعة ، ونحيا معجلين خاضعين لمطالب (الآلة) السابحة فى مدارج الأفلاك ، والماخرة فى مسابح الأسماك ؛ ومصائرنا تصرفها أقدار القوى المسيطرة على جهود العبقريات الخلاقة المتحضرة ، والمفتنة فى وسائل الخير والشر .

وصاحب البيان وحامل اليراعة تأخذه بوارق وخواطف تلك الحياة إذا تصدى للتعبير وتصوير خوالجه ، فيطلق عقال قلمه ، ويجانب القيود ، مؤثرا السهولة العابرة ، حتى لينزلق الى مزلق من القول المهلهل ، والخفه الضحلة التى تعد فى الهشيم والعصف المأكول .

فإذا تلفت الى حصائد القلم وجدها لا تمسك نفسا نابضا ، ولا ريحانا خالدا ، وحظها من البقيا على مجالدة الزمن حظ الدمى الرخيصة التى تلهى الولدان فإذا طاف بها يوم أو يومان تناثرت وانفرط تماسكها وانحلت عقداتها .

ويشق الأسف على القلب الذى أشرب حبا (البلاغة العربية) وتمثلا من روائع النظم الساحر والقول الفصل ، والإيجاز المحشود فى قوة فارعة وإيضاح مشرق وصفاء منخل قد من الصدق وأنبط من وجدان صارخ بالألم والأمل ، تترقق فيه خطرات النفس فى سرائها وضرائها ، فى حبها وبغضها ، فى شدتها ورخائها ، فى حربها وسلمها ، وعند ذلك لا يسمعه إلا الندم وإلا عض الأنامل وتقليب الكف أسفا على ما فرط فى جنب الله ، وإهدار بنات فكره ، باخراجها فى أثواب بالية تمشى على استحياء ، إن كتب لها أن تحيا قليلا ، وإلا وئدت عرائس فكره فى مهدها .

وأحسب أن الرجوع الى بلاغة القول وسياسة التعبير الذى يلخص المعانى فى رفق ، يحذف الفضول ويقرب البعيد ؛ أحسب أن تلك السياسة هى المراد الذى

يجد فيه السياسى مشتهاه ومنفده ومخلصه ، ويجد المصرح فيه نجاه له ووقاية من الزلل والشطط ، ويجد فيه المحارب مجناً يخفى بين طياته خططه أو يكشف عما ينصره من وحى الرعب والإخافة للعدو الرابض .

أحسب أننا فى حاجة الى العودة الجميلة ، والركون الى الحق وهو فضيلة .

أحسب أن التعبير الجميل عن مبتكرات الفكر وسوانح الرأى وبوادر الإجابة ، هو الراجح فى يدى من يزن كفتى التساهل فى حق التعبير والتحبير ، والتخير والتنوق والتبصر عند التأثير والتسطير ، وإلا فما لهذه الحضارة تقر الرمز فى أدبها ، وتحب التجميل والترقيش والتزيين فى تماثيلها وحسناواتها وحللها .

فطرة النفس التى برأها الله عليها ، وهى إطالة الوقوف حول الخفى ، وتتطلب المعرفة وراء الغامض وملء العين من فتن الجمال وطلاوة الخلاب ، والتهافت على الشيق الجذاب .

وحظ اللسان ونصيب الحافظة ، من سائر المثل ، وتعليق الحكمة ، وتزويد المأثور ، وانتقاء الشارد ـ كل ذلك لا ينكر ولا يكابر فيه : وكأنى بالفطرة تلتقى مع حاجات السرعة وعصرها الذى نسينا فى زحمته تراثا خلفه لنا القدامى موائد شهية صرفنا عنها زيف الطعوم المتكالبة ونظريات مجلوبة .

فهلا رجعنا وتبصرنا ! . لست أدرى ، غير أنى أتمثل قول الشاعر :

حسن الحضارة مجلوب بتطرية وفى البداوة حسن غير مجلوب

ومالى وشيطان الشعر وأنا فى معرض القول المأثور من التعبير المنثور قد يسعفنى ، وربما يرضيك أن أروى ما قاله « ابن السماك » الضائق بسياسة عصره فى عهد معاوية حين سئل : كيف تركت الناس ؟ قال : تركتهم بين مظلوم لا ينتصف ، وظالم لا ينتهى .

وأدق منه وأولى بساستنا أن يحتذوا أو يتأثروا : إجابة (شبيب) لما كان عند باب (الرشيد) ، فوجه اليه سائل :

كيف رأيت الناس ؟ قال : « رأيت الداخل راجيا ، والخارج راضياً .

ومن الإجابات المصورة فى إيجاز لحياة شعب بأسره ، ومفيد لمستفسر عن أى الخطوات يضرب على أبواب مستقبل غامض وحرب موفية وكفاح مسلم ورغبة حافزة — من الإجابات ما روى عن الفرزدق حين سأله الحسين بن على فى أمر مسيره الى (العراق) وعن أهواء الناس هناك : لقد أوجز وقدم تقريرا دونه أية إطالة وأى إطناب :

« القلوب معك ، والسيوف عليك ، والنصر فى السماء » !

ولست بناس مقام الإيجاز ولا موضع الإطناب ، ولا بغافل عن ضيق الناس بالتمرس لتحصيل وسائل القول البليغ ، والتفوه الفصيح ، والكتابة الخالدة .

ولكنى أجد ريح الأسف من كل حامل قلم إذا رجع وراجع نفسه : كم تذهب نفسه حسرات على أن لم يكن زاد فى حسن الصياغة ، وتريث وإن تأخرت (عجلات الآلة) التى خبت بالوريقات فأرغمته على أن يلاحق دوراتها . وما أعجله عن إتقان فنه إلا حب العيش أو حب الشهرة .

فإذا التمسنا لهذا وذاك وأمثالهما عذرا فما لهؤلاء الذين أتخموا من المجد وإن كان زائفا ، مالهم لا يغمسون أقلامهم فى مداد ومدد يمدهم بالخلود ، ويسعفهم بالبقاء ما ترقرقت الآراء واحتربت الأفكار وقلبت الكتب ونشرت الصحف .

ليت ! وهل ينفع شيئا ليت ؟ !

ليتنى كنت مع البلغاء فأفوز فوزا عظيما حين أسدد الرأى وأحدد الهدف ، وأنفذ بسلطان القول الثابت والتعبير الجميل ؟

كمـــو

لما كان عمر بن عبد العزيز بالحجاز ، أعطى رسالة من جرير ، فقال : مالى وللشعر ! فلما قيل له إنها رسالة عن أهل الحجاز ، قال : فهاتها ، فإذا فيها :

كم من ضرير أمير المؤمنين لدى ... أهل الحجاز دهاه البؤس والضرر
أصابت السنة الشهباء ما ملكت ... يمينه فحباه الجهد والكبر
ومن قطيع الحشا عاشت مخبأة ... ما كانت الشمس تلقاها ولا القمر
لما اجتلتها صروف الدهر كارهة ... قامت تنادى بأعلى الصوت يا عمر

دين الله الاسلام منبع الشرائع

لحضرة الأستاذ نظام الدين عبد الحميد

اقتضت إرادة الخالق — جل وعلا — إيجاد الوجود، وشاءت مشيئته خلق النوع البشرى مزوداً بأنواع من الملكات والغرائز والهدايات والقوى، يستعين بها على سلوك مسلك الحياة واجتياز عقبتها على صورته اللازمة: وكان أعظم هداية زود به وأكثرها ضرورة له هو هداية الدين. وكانت حكمته السامية قاضية بأن يصطفى من بنى آدم أناسا غلبت قوتهم الروحية على ماديتهم غلبا يمكنهم من أن يكونوا وسطاء عن طريق الوحى بينه - سبحانه وتعالى - وبين بنى البشر لإبلاغهم أوامره، ورسلا إلى أقوامهم ومللهم ينهجون لهم ما يوافق مصلحتهم، ويشرعون ما تقتضيه ظروفهم، على ضوء دين الله الأوحد الموحى إليهم جميعا، والمفطور عليه نفوسهم ونفوس البشر جميعا: حيث إن البارى تعالى قد فطر النفوس على الدين الفطرى، ويسر لها اكتناه حقيقته، لو رفعت عن بصيرتها ستار العماية، وأزالت عنها حجاب الضلالة.

وإننا لو دققنا أطوار حياة الملحد المنكر الذى لا يرى لغير المادة سلطانا، ولا لغير المحسوسات وجودا، ولا لغير الصدف عللا وأسبابا: وفتشنا عن خبايا نفسه فى شتى الظروف والمناسبات، للمسنا عنده ما يؤيد هذا القول، ولعثرنا عنده على جذور لهذا الدين توجهه للقيام ببعض أعمال البر والخير، وهى السبب المباشر لكل ما يأتيه من عمل إنسانى. وإنى ألتمس مصداق بعض قولى هذا فى هذه الآية الكريمة الآتية التماسا قويا: «أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعاً وكرها وإليه يرجعون».

وإننا نرى الملحد المنكر يعزو سبب ما يقوم به من معروف إلى دافع الوجدان أو الضمير أو الإنصاف أو الرحمة؛ ولكننا لو فاجأنا هذا النوع

من الإنسان المخدج ، وطلبنا منه أن يفسر لنا مدلول هذه الأسماء تفسيراً مادياً يرفع عنه النقاب ، ويبين المصدر المنبعث منه هذا الذى يسميه تارة وجدانا وتارة ضميرا ، ومرة إنصافا وأخرى رحمة ، لبُهت من حراجة المأزق ، ولشده شاخصا إليك لا يحير جوابا .

والشيء الذى يكاد يزاحم البديهة عندى ؛ هو أن مدلولات هذه الأسماء هى بعض مدلول كلمة الدين الحقيقى الفطرى ، أو هى فروع متفرعة من دوحة هذا الدين القويم ، أصلها شيء واحد ، وغذاؤها من نبع واحد .

فهذا الدين الفطرى بالرغم من أنه متأصل فى النفوس ، وبالرغم من أن النفوس قد جبلت عليه ، نرى بعض العميان الذين طغت ماديتهم على روحيتهم طغياناً طمس عندهم معالم الاهتداء الى نور اليقين ، وأخفى عنهم سرج الوصول الى الحق المبين ، يحاولون عبثا التحرر من سلطانه ، ويبغون ظلما الانسلال من دائرته . لذلك كان من آثار عنايته ، تعالى ، أن يرسل الى مختلف الأمم فى مختلف الظروف رسلا موحيا إليهم دينه الأوحد ، ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ، فمنهم من هدى الله ، ومنهم من حقت عليه الضلالة ، يجدد بهم مع بنى البشر عهد الفطرة ، ويجلو بهم صدأ الأوهام والخرافات عن جوهر الدين فى القلوب ، ويجرد بهم أذهانهم مما تعلق بها من الترهات وأسباب النقص والفساد ، ويطهر بهم نفوسهم مما طرأ عليها من أدران الزيغ والضلال ، ويدعو بهم الى دينه الأقوم : « فأقم وجهك للدين — الحق الخالى مما ابتدعته الأهواء ، وأوجدته الأغراض ، من الشوائب التى لا تمت بصلة الى الدين — حنيفا ، فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم — وحده — ولكن أكثر الناس لا يعلمون » . فهذه الآية الكريمة دليل واضح على أن الدين فطرة ، وأن البارى ، تعالى ، قد فطر الناس على هذه الفطرة : وهذه الفطرة عبارة عن الدين القيم الذى لا يعتريه التغيير والتبديل . وهذا الدين هو دين الإسلام ، دين جميع الأنبياء والمرسلين ، أى دين استسلام الوجه له سبحانه وتعالى ، والانقياد والخضوع له وحده ، والاستعانة به ، وطلب جميع المآرب منه وحده : « إياك نعبد ، وحدك فقط دون أحد سواك ، لكمال ألوهيتك ، وإياك نستعين ، وحدك فقط أيضاً دون أحد من الكهنة والرؤساء

وشيوخ الطرق والأولياء ، ودون شيء من المقابر والأشجار والأحجار ، لكمال ربوبيتك .

هذا وإن الإنسان المتجرد عما ورث من العقائد والآراء ، الخالى الذهن عن كل ما يحيط بعائلته ومجتمعه وبيئته من الشعائر والطقوس والأوهام ، لو فكر ساعة بذهن ثاقب فى ساعة من ساعات التجلى ، وفى وقت من أوقات يقظة الضمير ، وفى فترة من فترات صفاء الفكر والقلب ، عن السر المحيط بهذا الكون ، وعن الواهب للموجودات الوجود والحركة والنظام ، وعن العلة الأصلية المحركة لدقائق الأمور وجلائلها ، لانجلى أمامه كل غموض ، ولانكشف لديه الحق الواضح الأبلج ، ولاهتدى بعقله وأدرك بأن هذا الارتباط الكلى بين أجزاء الكون الواسع العجيب لا يمكن أن يعزى الى مجرد الصدفة ، وبأن الكون بمجموعه يهيمن عليه صاحب قوة مدبرة جبارة لا نهائية ، أوجد الوجود من العدم ، متصف بصفات الكمال ، منزه عن صفات النقص : تقصر عن درك ذاته الكريمة الأفهام ، وتضل عن اكتناه ماهيته العقول ، وهب الخلق وأوجد ما به يكون كمال الوجود : ولاهتدى بتفكيره الى أن هذا الواهب للوجود النظام المتقن لا يعقل أن يترك البشر وشأنهم دون أن يرسل إليهم رسله مع ما تستوجبه عدالته ، وما تستلزمه حكمته ، وما تقتضيه ظروف البشر أنفسهم من الأوامر والنواهى والإرشادات لينتظم سير الحياة : ولاهتدى أيضاً الى أنه لا يمكن للعدالة الإلهية أن تترك المحسن دون ثواب ، وأن تترك المسيء دون عقاب : ولآلهم بأن ثواب الصالحين المحسنين الممتثلين أوامر هذا الخالق ، والمتجنبين نواهيه ، وعقاب الطالحين المسيئين المخالفين أوامره والمقدمين على نواهيه ، يتحقق فى يوم لاريب فيه ، يوم تبيض فيه وجوه وتسود فيه وجوه ، وذلك هو يوم القيامة ، يوم الحساب والعدالة ، يوم الفزع الأكبر . أليس من واجبه إذن أن يتوجه بقلبه الى هذا الخالق عابداً ، ويسلم وجهه لهذا البارى طائعاً ، ويستمد ويطلب العون والتوفيق من هذا الرب وحده ، ويمتثل أوامره ويتجنب نواهيه ؟ بلى وربى ! .

فكل هذا الذى يتجلى لثاقب الذهن المفكر ساعة إشراق النفس ويقظة القلب وصفاء الروح ، المتجرد عن كل ما يعكر صفو الفطرة ، هو الدين الحقيقى القيم ،

دين الفطرة الذى فطر عليه النفوس جميعا ، دين استسلام الوجه له سبحانه وتعالى استسلاما يثبت له ، تعالى ، كمال الألوهية والربوبية .

نعم : الإسلام دين الفطرة ، هو دين جميع الأنبياء . قال تعالى : « إن الدين عند الله الإسلام ، وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ، ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب » . فهذه الآية الكريمة نص صريح على أن الدين الحقيقى المقبول عند الله هو الإسلام ، وأن أهل الكتاب ما حادوا عن الحقيقة وما اختلفوا فى الدين إلا من بعد أن أفهموا بالحقيقة ، وأعلموا ماهية الدين ، بغيا بينهم . وقال تعالى « ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا » وقال « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا - فى دين الله يعادى بعضهم بعضا ، ضالين عن المحجة البيضاء - لست منهم فى شىء ، إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون » وقال تعالى : « وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه - وهو بيان حقيقة دين الله وروحه الذى لا يقبل التغيير والتبديل والتعدد - وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » وقال جل شأنه « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين - الدين المعروف الموحى إليكم جميعا - ولا تتفرقوا فيه - مللا ونحلا يخاصم بعضكم بعضا ، وتفتحوا للتفرق والإحن والبغضاء والعداوات أبوابا - كبر على المشركين ما تدعوهم إليه ، الله يجتبى إليه من يشاء ، ويهدى إليه من ينيب » . فهذه الآيات الكريمات ، والحكم العاليات ، براهين واضحة وحجج ساطعة على أن دين الله واحد لا يقبل التغيير والتبديل والاختلاف : فهو يقرر شيئاً واحداً على لسان كافة الأنبياء والمرسلين ، ويرمى الى غاية واحدة ، ويستهدف هدفا واحداً عند جميعهم .

أما الذى قبل التغيير والتبديل ، وتغير وتبدل ، فهو الشرائع فقط ؛ إذ كان لكل رسول وكل إليه أمر تجديد هذا الدين ، بين فترات وأخرى ، شريعة خاصة متميزة عن باقى الشرائع تحمل صبغة تتوائم والعصر الذى أتت فيه ، وطبيعة الملة التى جاءت إليها ، والعقلية والظروف والأحوال السائدة آنذاك ، حتى تواجه المشاكل بالحلول المعقولة ، وتتكفل قضاء مصالح الناس المتشابكة بالطرق

المقبولة . وكان العمل بمقتضى تعاليم شريعة من الشرائع قاصراً فى حدود مدة معينة من الزمان ، تنسخ أحكامها أحكام شريعة لاحقة ، حالّة فى محلها من حيث وجوب العمل بمقتضاها .

ولقد أرسل الله سبحانه وتعالى من الأنبياء والرسل من شاء أن يرسل ، وبدل من الشرائع وغيّر ما شاء أن يبدل ويغير ، إلى أن أرسل خاتم المرسلين محمد بن عبد الله عليه أفضل صلاة وأكمل سلام ، ليدعو إلى دين الله القويم ، فدعا الى فطرة الإسلام ، ودعا الى الأصول الجوهرية المنزلة على الأنبياء والمرسلين جميعهم بأمره تعالى القائل له « قل يأهل تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ، ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » والقائل له « وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم ، فإن أسلموا فقد اهتدوا ، وإن تولوا فإنما عليك البلاغ ، والله بصير بالعباد » .

نعم أتى الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، داعيا الى فطرة الإسلام ، دين جميع الأنبياء والمرسلين ، بدليل ما استشهدت بها من الآيات ، وبدليل ما سأستشهد بها من الآيات ، وبدليل ما تركت الاستشهاد بها من الآيات : ومعه الشريعة المرنة الخالدة التى تسمى هى أيضا بشريعة الإسلام ، الشريعة التى لم تختص بزمان دون زمان شأن ما سبقتها من الشرائع ، ولم تتعين فى قوم دون قوم ، أو ملة دون أخرى ، أو جنس دون جنس شأن ما سبقتها من الشرائع : لأنها فى كليتها كالدين لا يعتريها النسخ والزوال ، فهى باقية بقاء الأرض والسموات : لما فيها من الأصول العامة ما يحقق لها الحياة الأكمل فى كل زمان ومكان . فجزئيات مسائلها وأحكامها فى تطور مستمر حسبما تتطلبه الأحوال وتقتضيه الظروف والمقتضيات ، وممعنة فى السير نحو التجديد سيراً لا ينالها الخور والكلال : ولأنها شريعة غذاؤها من فطرة الإسلام ، واستمدادها هدى الله ؛ ولأنها الجامعة لروح جميع الشرائع ، والمحيطة بأطراف جميع الشرائع ، والمجمع الذى تلتقى عنده كافة الشرائع .

فهذه الشريعة تلزم معتنقيها الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين ، وبكتبهم ، وبما أتوا به من الشرائع ؛ وتحتم عليهم إجلال هؤلاء الرسل والأنبياء واحترامهم ، إجلالا واحتراما يضاهيان ما يحملون فى قلوبهم من الإجلال والاحترام لرسولهم

محمد بن عبد الله ، عليه الصلاة والسلام ؛ وتقرر بعدم وجود فرق بين هؤلاء الهداة الذين قادوا البشرية كل فى وقته وزمانه نحو الكمال والسعادة . قال تعالى « إن الذين يكفرون بالله ورسله ، ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ، ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا ، أولئك هم الكافرون حقا ، وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا » وقال جل شأنه « قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل الى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » وقال تعالى « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير » .

وإن تعدد الشرائع يقتضى لها — للشرائع — تعدد الأسماء ، ويقبل الاختلاف فى التسمية ، فتسمى هذه مثلا بالشريعة النصرانية ، وتلك بالشريعة اليهودية ، وهذه بالشريعة الاسلامية . . الخ .

أما وحدة الدين فلا تقبل التعدد فى التسمية ، فهى تلزم وحدة الاسم . لذا يلزم أن نسمى الدين باسمه المسمى به فى اصطلاح الوحى الموافق لفطرة الفطرة . أما إذا قلنا الأديان السماوية ، أو قلنا الدين المسيحى أو الدين اليهودى ، فالتسمية فى هذه الحالة لا تكون على حقيقتها ، وإنما تكون على سبيل الاستعارة ، أو تكون من قبيل إطلاق الخاص على العام . وإنى أجيز لنفسى أن ألتمس هذا المعنى من قوله تعالى « وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا ، قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين » . ولا أرى لدى مانعاً من أن ألتمسه أيضا من قوله عليه الصلاة والسلام « كل مولود يولد على الفطرة ، إنما أبواه يهوّدانه أو ينصرانه أو يمجسانه » . الفطرة هى الدين ، والدين هو الدين الحقيق ، دين الله الإسلام .

فكل مولود يولد خالى الذهن والفكر عن كل ما ابتدع من العقائد ، وما التصق بالدين من الآراء . . . فهو بما ركز فيه من القوى والغرائز ، وبما زود به من الهدايات ، مهتد بهداية الدين الفطرى ، ومطبوع عليها ، ولكن البيئة والعائلة ، وفيها الأبوان ، هى التى تطفىء سراج هداية هذا الدين الفطرى

مكتبتنا العربية

فى نفسه ، وتعكر نبع الإسلام فى قلبه ؛ فتبعده عن الحقيقة أيما إبعاد ، فتنصره موحية إليه أن الدين المقبول هو الدين النصرانى ، وكل ما تقرره النصرانية يقبل من دون مناقشة ؛ أو تهوده موحية إليه أن الدين هو الدين اليهودى ، وكل ما تقرره اليهودية وما يأتى به الكهان من الشعائر والطقوس هو من صلب هذا الدين ؛ أو تمجسه ، تنجسه ، موحية إليه أن المجوسية هى الدين الحق الكامل وأن معتنقيها هم المهتدون الفائزون وغيرهم ضالون خاسرون . فينشأ المولود ، ماقتا كل نحلة غير نحلته ، وكل فرقة لا تنتمى إلى جماعته ، وكل عقيدة تخالف عقيدته ، فيحارب الدين باسم الدين ، ويأتى باسم الدين من المنكرات ما أتى الدين لمحاربتها واجتثاث جذورها فى المجتمع ، ويزيد ويعقد المشاكل والعقبات الحائلة دون السير الإنسانى نحو الهناء والكمال ، ويرتكب من الأعمال المستهجنة ما تستوجب تأصل أسباب العداوة والبغضاء والشقاق والتفرقة بين بنى البشر قرونا وقرونا .

ولو أن رجال الدين فى كل فرقة ونحلة أرادوا وأحبوا أن تدرك الإنسانية المثل الأعلى فى معيشتها ، وتجردوا عن أهوائهم الشخصية ، وعقلوا ماهية الدين وكنهه ؛ لنبذوا كل سبب من أسباب التنكر والعداوة والتفرق ، ولتآلفت نفوسهم وتوحدت قلوبهم : ولتصافوا وتصافحوا واجتمعوا على مائدة واحدة يلتمسون على ضوء دين الله الأوحد ما يتكفل هناء العيش البشرى وسعادته وأخوته على بساط الرحمة والصداقة والكمال .

قلة الكرام

قال أبو تمام :

ولقد يكون ولا كريم تناله ... حتى تخوض إليه ألف لئيم

وقال ابن أبى حازم :

وقالوا لو مدحت فتى كريماً ... فقلت . وكيف لى بفتى كريم

بلوت ومر بى خمسون حولا ... وحسبك بالمجرب من عليم

فلا أحد يُعَدُّ ليوم هول ... ولا أحد يعود على عديم

الأزهـــــر

وفجر النهضة القومية الحديثة

لحضرة الأستاذ أحمد عز الدين خلف الله

المدرس بمعهـــد طنطا

لقد سجل التاريخ للأزهر بحروف من نور ، ولايزال يسجل له ، الصفحات الذهبية ، فى تاريخ مصر خاصة ، والعالم الإسلامى عامة . ويكفى القول بأنه لا توجد دار علم ، قدمت لبلادها من الخدمات الدينيـة ، والثقافية ، والعلمية ، والاجتماعية وغيرها ، كما فعل الأزهر . وإن تقصى هذه الخدمات ، ومعرفة ما قام به الأزهر فى سبيل حفظ التراث الإسلامى أغنى من أن يعرف ، وأوسع من أن تسعه صفحات : وسنتجه بالبحث إلى ناحية جديدة قلما طرقها القلم ، وهى مواقف الأزهر المجيدة فى كبح جماح الطغاة والمستبدين ، وكيف كان علماؤه يقفون كالصخرة فى وجه هؤلاء ليردوا إليهم صوابهم ، ولو لزم ذلك تضحية كل نفيس وغال ، ولم يكن معهم من سلاح سوى إيمانهم بأنهم يعملون للصالح العام ، فكان صدقهم سبباً فى نجاحهم فى كثير من مواقفهم الكريمة .

فى سنة ١٢١٩ هـ كان والى مصر (خورشيد باشا) يعمل ما فى وسعه للتخلص من أقوى شخصية فى مصر فى ذلك الوقت ، وهو (محمد على باشا) : وطلب من الحكومة العثمانية إرسال جيش لتهدئة الحالة فى البلاد ، فأجابت طلبه .

وبينما كان محمد على باشا يطارد المماليك فى الصعيد ، وصلته الأخبار بأن جيشاً عثمانياً فى طريقه إلى القاهرة ، فلم يفت عليه غرض الوالى الذى كان يتحين الفرص للتخلص منه : لذا نفض يديه من معارك المماليك وقفل راجعاً إلى القاهرة .

مكتبتنا العربية

ولما سمع الوالى برجوعه جن جنونه إذ كان معنى ذلك أن محمد على باشا قد فطن إلى نواياه وهو يحاول أن يستعد للأمر قبل وصول الجيش العثمانى . رأى الوالى أن يلجأ إلى العلماء ليؤلبهم ضد محمد على باشا ، وكان هؤلاء هم قادة الرأى العام وأى كفة ينضمون إليها يجدون الشعب من حولهم . فجمعهم وطلب منهم إما أن يعملوا على إرجاع محمد على باشا إلى الصعيد لقتال المماليك ، أو أن يطلبوا منه مغادرة القطر المصرى : وطلب منهم أن يبقوا عنده فى القلعة كرهائن حتى ينفذوا ما أراد . اعتذر له العلماء بأنهم لا يستطيعون إعطاءه رأياً حاسماً ، إذ أن زعماءهم أمثال الشرقاوى والبكرى والمهدى غائبون عن القاهرة ، وأشاروا عليه أن يؤجل ذلك إلى حين حضورهم ، فوافق على ذلك بشرط أن يبيت فى القلعة كل ليلة اثنان من العلماء فى الضربخانة كرهينة . لم يكن غرض الوالى يخاف على العلماء الذين كانوا يعلقون آمالهم بمحمد على باشا الذى برهنت الحوادث على أنه الشخصية الوحيدة التى يمكنها إنقاذ البلاد من الخراب المحقق الذى تسرع نحوه نظراً لسوء تصرفات المماليك والولاة ، ولم يكن سكوتهم حتى ذلك الحين عن جبن ، إنما كانوا ينتظرون الفرصة الملائمة لإعلان رأيهم فى صراحة ؛ ولم تلبث هذه الفرصة أن أتيحت .

فظائع الجيش العثمانى الجديد :

وصل هذا الجيش إلى القاهرة فى أواخر سنة ١٢١٩ ، وكان عبارة عن ثلاثة آلاف من الجنود الدلاة ، وقد دخلوا القاهرة دخول الظافر المنتصر ، فارتكبوا من الفظائع ما يقشعر لها البدن ؛ إذ أخرجوا الناس من منازلهم ، ونهبوا دورهم ، وحجزوا نساءهم ، وكانت هذه الأعمال سبباً كافيا لإثارة الشعب الذى لجأ إلى العلماء ليضعوا حداً لهذه الحالة السيئة ؛ فتوجه هؤلاء إلى الوالى وأجبروه على إصدار أمر بعدم تعرض الجند لأحد . ولكن الجند لم يطيعوا للوالى أمراً : فعاد العلماء إلى الاجتماع مرة أخرى ، فوعدهم بترحيل الجند عن القاهرة فى مدى ثلاثة أيام .

العلماء يتدخلون لحل الأزمة بين الوالى والشعب :

انتهت الفترة التى حددها الوالى لجلاء الدلاة ، ولم يرحل منهم سوى النصف ،

ورفض النصف الثانى الخروج حتى تدفع رواتبهم، وتمادوا فى فسادهم . استحث الأهالى العلماء لعمل شىء فى سبيل حمايتهم من عبث الجنود ، فاتفق هؤلاء على عقد مؤتمر عام فى دار المحكمة الكبرى (بيت القاضى) يوم ١٢ صفر سنة ١٢٢٠ هـ وما إن ذاع نبأ هذا الاجتماع بين الأهالى حتى يمموا فى صبيحة هذا اليوم إلى ساحة بيت القاضى ليرقبوا الحالة عن كثب ، وبين هتافات الجماهير الهائجة انعقد المؤتمر ، وأرسل العلماء إلى الوالى لينتدب وكلاء عنه ليشهدوا قرارات المؤتمر ، فأرسل اليهم سعيد أغا الوكيل وبشير أغا وعثمان أغا والدفتردار ، وفى هذه الجلسة التاريخية حرر العلماء بيانا بمطالب الشعب نلخصها فيما يلى :

أولا : لا تفرض ضريبة من اليوم إلا إذا أقرها العلماء والأعيان .

ثانيا : تجلو الجنود عن القاهرة وتنتقل حامية المدينة إلى الجيزة .

ثالثا : لا يسمح بدخول أى جندى إلى المدينة حاملا سلاحه .

رابعا : أن تعاد المواصلات فورا بين القاهرة والوجه القبلى .

وبعد الفراغ من تحرير هذه المطالب أعطوا صورة منها لكل من القاضى ووكلاء الوالى الذين وعدوا بالرد عليها فى اليوم التالى ثم انصرفوا لتبليغها إلى الحاكم .

كان خورشيد باشا رجلا عنيداً ، فبدلا من أن يحاول تهدئة الحالة أرسل يستدعى العلماء ونقيب الأشراف إلى القلعة للتشاور فى الأمر ، وكان قد أعد كمينا لاغتيالهم فى الطريق ، ولولا حيطة السيد عمر مكرم لنفذ ما أراد ، ولكن نقيب الأشراف حذر العلماء من استجابة دعوة الوالى ، إذ أنه لا يبغى سوى التخلص منهم بدلا من بحث الحوادث والوصول إلى حل ملائم .

انتخاب محمد على باشا واليا :

اعتبر الوالى هذه القرارات بمثابة إعلان للتمرد ، كما أن العلماء ووكلاء الشعب اعتبروا أن عدم إجابة الوالى لطلباتهم بمثابة تخليه عن الحكم .

فاجتمع مؤتمر عام فى دار المحكمة الكبرى فى ١٣ صفر سنة ١٢٢٠ لبحث الموقف ، واتفقت الكلمة على عزل خورشيد باشا ، وتوجه أعضاء المؤتمر من

العلماء ، والأعيان تتبعهم الجماهير إلى دار محمد على باشا لإخباره بقرارهم ، فلما سمع هذا نبأ عزلهم خورشيد باشا سألهم ، ومن تريدونه والياً ؟ ، فقالوا له « لا نرضى إلا بك والياً بشروطنا ، لما نتوسمه فيك من العدالة والخير » .

تردد محمد على باشا فى قبول هذا الانتخاب الفريد من نوعه فى تاريخ مصر ، ثم قبل أخيراً . فنهض السيد عمر مكرم والشيخ الشرقاوى شيخ الأزهر وألبساه خلعة الولاية ، وكان ذلك فى عصر يوم الاثنين ١٣ صفر سنة ١٢٢٠ ، وأمروا أن ينادى به واليا على مصر فى أنحاء المدينة .

كان هذا الانقلاب من الحوادث الفريدة فى تاريخ مصر ، فقد قام العلماء والأعيان ورؤساء الطوائف بصفتهم ممثلى الشعب بانتخاب الرجل الذى يصلح للحكم ، وبذا وضعوا حدا لهذه الفوضى التى لم تشهد مصر لها مثيلا ، وقد تم هذا الانتخاب بالرغم من الفرمان السلطانى الصادر بإسناد ولاية جده الى محمد على باشا ، وبالرغم من تأييد الحكومة التركية لخورشيد باشا ، كما جاء دليلا على استقلال مصر نهائيا عن الدولة العثمانية .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الاصطدام مع خورشيد باشا :

لم يكن خورشيد باشا بالرجل الذى يستسلم بسرعة ، وعند ما قابله وفد من العلماء لإبلاغه قرارات المؤتمر وإقناعه بقبولها حقنا للدماء ، أجابهم بقوله « إنى مولى [1] من طرف السلطان فلا أعزل بأمر من الفلاحين ، ولا أنزل من القلعة إلا بأمر السلطنة » .

رأى العلماء أن يتصلوا بمستشارى الوالى ، وهما عمر بك وصالح أغا ، لعلهما يقنعانه بضرورة احترام « ما اجتمع [2] عليه رأى الجمهور من عزل الباشا ، وأنه لا ينبغى مخالفتهم ، لما يترتب على ذلك من الفساد العظيم وخراب الإقليم » . فطلب مستشارا الوالى سنداً شرعيا مثبتا لعزله ، فما كان من العلماء إلا أن اجتمعوا يوم الخميس ١٦ صفر بدار المحكمة الكبرى ، وحرروا محضرا فى شكل سؤال

[١ ، ٢] الجبرتى ج ٣ ص ٣٥٠ .

مكتبتنا العربية

وجواب على نحو الفتاوى ، وقام بتحريره الشيخ محمد المهدى ، ووقعوا عليه جميعا ثم أرسلوه الى الوالى . وفى ٢٥ صفر نزل عمر بك من القلعة فقابله السيد عمر مكرم ودار الحديث بينهما بصدد المحضر ولكنهما لم يتفقا على شىء .

أخذ خورشيد باشا يستعد للحرب ويحصن القلعة ، كما قام محمد على باشا والعلماء بمحاصرته لإجباره على التنازل ، وكانت الأوامر خلال الحرب تصدر باسم السيد عمر مكرم والعلماء ، واستمرت الحرب سجالا حتى ١١ ربيع الثانى سنة ١٢٢٠ الموافق ٩ يوليه سنة ١٨٠٥ .

إقرار ولاية محمد على باشا على مصر :

كان عيب الولاة أنهم يخفون الوقائع عن السلطنة خوفا من عزلهم ، وما إن وصلت أخبار مصر الى السلطان حتى أصدر فرمانا بتولية محمد على باشا واليا على مصر ، حيث رضى بذلك العلماء والرعية ، وأن خورشيد باشا معزول عن ولاية مصر » . وكان وصول الفرمان مبطلا لحجة خورشيد باشا فى عدم تنازله ، ولكنه بالرغم من ذلك أصر على المقاومة حتى أجبر أخيراً على الخروج من القلعة يوم ٩ جمادى الأولى سنة ١٢٢٠ الموافق ٥ أغسطس سنة ١٨٠٥ . ومن هذا التاريخ بزغت شمس تاريخ مصر القومى ، ناشرة دفء الحرية وضياء النهضة فى ربوع البلاد .

يقول الجبرتى « انتصر محمد على باشا بالسيد عمر مكرم النقيب والمشايخ والقاضى وأهل البلدة والرعايا » . ويقول قولا بل « ولاجدال [1] فى أن المطالب التى فرضها الشيوخ على خورشيد باشا تدل على ما كان يجيش بصدورهم من الإحساس بالحرية ، وما يشعرون به من الحاجة الى أخذ الضمانات الكافية التى تكفل مراقبة الحكومة . ولقد كان هذا الشعور الى ذلك العصر مجهولا فى الشرق ، وإذا كانت أنظار الشعب قد اتجهت فى تلك الآونة الى محمد على باشا ، وأجمعت آراء زعمائه على تقليده سلطة الحكم ، فما ذاك إلا لأن محمد على باشا قد دعا الى مبادىء الحرية ، وأعلن فى كل لحظة دفاعه عن حقوق الشعب ومصالحه » ؟

[١] الحركة القومية للرافعى بك ج ٢ ص ٣٨٢ .

عيد الفطر فى الاسلام

لحضرة الأستاذ أحمد صلاح الدين عبد الرحمن

جرت عادة المسلمين منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاحتفال بعيد الفطر المبارك ، وكانت مظاهر هذا الاحتفال فى عصر صدر الإسلام تبتدىء فى صلاة العيد وتزاور المسلمين وإدخالهم السرور على قلوب الفقراء والمعوزين ، كما كان المسلمون يسارعون إلى أعمال البر فى هذه المناسبة الجليلة ، ويتقربون إلى الله بمختلف أنواع الطاعات والقربات .

لكن لما اتسعت رقعة البلاد التى يرفرف عليها العلم الإسلامى ، وانضوى كثير من الممالك والشعوب تحت لواء هذا الدين الحنيف ، ولما اختلط المسلمون بغيرهم من رعايا البلاد التى فتحوها وتبادلوا وإياهم العلوم والمعارف ، ولما شاع الترف والرخاء فى الدولة الإسلامية وخاصة منذ اعتلى العباسيون أريكة الخلافة - بدأت الاحتفالات بعيد الفطر تتخذ مظهرا جديدا وتتم على نحو آخر لم يكن مألوفا من قبل .

ففى العصر العباسى مثلا كانت مظاهر الإسلام تتجلى فى الاحتفال بعيدى الفطر والأضحى فى مختلف البلاد الإسلامية ، وخاصة العواصم الكبرى مثل بغداد ودمشق وبيت المقدس ، وكان الاحتفال بعيد الفطر يبلغ الذروة من الروعة والأبهة فى البلاد التى يكون الشعور الإسلامى فيها قويا مثل طرسوس التى كان يتوافد إليها غزاة المسلمين من أنحاء الدولة الإسلامية ، كما ترد إليها تبرعات من لا يستطيعون الخروج للغزو بأنفسهم ، ولعل سبب حرص المسلمين على إظهار الأبهة الإسلامية بأجلى مظاهرها فى الاحتفال بالأعياد فى طرسوس ، رغبتهم فى إبراز قوتهم وتجليتها أمام أعدائهم من الروم فى هذه البلدة الواقعة على حدودهم ، والتى كانت تعتبر من الثغور الإسلامية المهمة .

وكانت المدن الإسلامية الكبرى تسطع فى أرجائها الأنوار فى ليالى العيد ، وتتجاوب فى جنباتها أصوات المسلمين بالتكبير والتهليل ، وتزدحم الأنهار بالزوارق المزينة بأبهى الزينات ، وتتلألأ الأنوار الخاطفة للأبصار من قصور الخلافة ، وكان الناس يلبسون الطيالسة السود تشبها بخلفائهم العباسيين ، كما كان بعضهم يتخذ بدل العمائم قلانس طويلة مصنوعة من القصب والورق مجللة بالسواد كذلك ، ويلبسون بدل الدروع دراعات كتب عليها : فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم .

[حضارة الإسلام فى دار السلام ص ٢٢] .

وكان الخلفاء يعملون على استرضاء رعاياهم بما يبذلونه لهم فى هذه المناسبات الدينية من العطايا والأرزاق والهبات ، وبما يقيمونه من المآدب والحفلات ، وما يمدونه من الأسمطة التى يدعون اليها الخاص والعام .

وكانت روعة الأعياد وأبهتها تنعكس فى شعر الشعراء المعاصرين ، كما يتضح من هذه القصيدة التى نظمها أبو إسحق الصابى يهنىء فيها عضد الدولة بن بويه أحد سلاطين بنى بويه فى بغداد بعيد الفطر ، ومنها :

يا ماجدا يده بالجود مفطرة ... وفوه من كل هجر صائم أبدا
أسعد بصومك إذ قضيت واجبه ... نسكا ووفيته من شهره العددا
واسحب بذا العيد أذيالا مجددة ... واستقبل العيش فى إفطاره رغدا
وانعم بيومك من ماض قررت به ... عينا ومنتظر يفضى إليك غدا
وفز بعمرك ممدودا وملكك مو ... طودا ونل منهما الحد الذى بعدا

[يتيمة الدهر للثعالبى ج ٢ ص ٢٥٢ .

على أن الدولة الفاطمية كانت تحتفل بالعيدين احتفالا يفوق الوصف . والسبب فى ذلك راجع الى أنها كانت جد حريصة على أن تطبع الشعب المصرى بطابعها الخاص ، وأن تصوغ عقليته وروحه وتفكيره وحياته العامة والخاصة وفقا لمناهجها ورسومها ، ولهذا اتخذت الحياة الاجتماعية فى هذا العصر مظهرا من البذخ والترف قل أن نجد مثله فى عصر من العصور الإسلامية ، فلقد كانت مواكب الفاطميين وأعيادهم وحفلاتهم الرسمية ومآدبهم الفخمة وبذلهم المأثور ـ مناسبات مشهورة تثير من حولها الإعجاب والروعة ، كما كانت مثار المرح والبهجة العامة بين الأهالى

مكتبتنا العربية

ولا زالت آثار من هذه التقاليد الفاطمية تتضح فى عصرنا هذا فى كثير من نواحى حياتنا الاجتماعية .

وقد كان الخليفة الفاطمى يخرج فى صبيحة يوم الفطر من باب خاص فى قصره ، يسمى باب العيد ، إلى المصلى فى موكب فخم وعليه الثياب البيض الموشحة وينتظم القوم له صفين من باب القصر الى المصلى ، فيدخل من شرقيها إلى مكان يستريح فيه قليلا ، ثم يخرج محفوفا بحاشيته إلى المحراب ، والوزير والقاضى وراءه فيصلى بالناس صلاة العيد بالتكبيرات المسنونة ، فإذا فرغ منها وسلم صعد المنبر لخطابة العيد ، ووقف أسفل المنبر الوزير وقاضى القضاة ، وصاحب الباب ، وغيرهم من كبار الموظفين ورجالات الدولة ، ثم يصعد هؤلاء إلى المنبر كل حسب درجته ويقفون عن يمين الخليفة وشماله ، ثم يخطب خطبة بليغة مناسبة للمقام ، فإذا فرغ منها نزل أفراد الحاشية من على المنبر حتى إذا خلا منهم نزل الخليفة ودخل المكان الذى خرج منه فيلبث قليلا ثم يعود إلى قصره فى الهيئة التى أتى فيها إلى المصلى . وقد قال المسبحى فى وصف أحد هذه المواكب : « وفى يوم العيد ركب العزيز بالله لصلاة العيد وبين يديه الجنائب والقباب الديباج بالحلى ، والعسكر فى زيه من الأتراك والديلم والعزيزية والإخشيدية والكافورية ، وأهل العراق بالديباج المنقل والسيوف والمناطق الذهب ، وعلى الجنائب السروج الذهب ، والسروج بالعنبر ، وبين يديه الفيلة عليها الرجالة بالسلاح والزرافة ، وخرج بالمظلة الثقيلة بالجوهر وبيده قضيب جده عليه السلام فصلى على رسمه وانصرف » [الخطط ج ٢ ص ٣٢٣] .

ويمتاز عيد الفطر بأنه كان يقام فيه سماطان حافلان فى قصر الخليفة . أما أولهما فينظم أثناء الليل بالإيوان الكبير قبالة مجلس الخليفة ، ويبلغ طوله ثلثمائة ذراع فى عرض سبعة أذرع ، وتنثر عليه أنواع الفطائر وصنوف الحلوى الشهية مما صنع فى دار الفطرة الخلافية : فإذا صلى الخليفة الفجر عاد إلى محله وفتحت أبواب القصر على مصاريعها ، وأخذ الناس يهرعون الى السماط يلتهمون ما عليه من شهى الأطعمة ، ومنهم من يحمل معه ما يستطيع حمله فيأكله فى يومه أو يدخره لغده أو يبيعه إذا لم تكن به إليه حاجة . فإذا بزغت الشمس خرج الخليفة فى موكبه السابق الإشارة إليه لصلاة العيد .

وأما ثانى السماطين فيقام فى قاعة الذهب أثناء خروج الخليفة لصلاة العيد ، فإذا عاد من الصلاة وجد السماط معدا فيجلس فى مجلسه وأمامه مائدة من فضة يقال لها المدورة ، عليها أوانى الذهب والفضة ، حافلة بكل ما لذ وطاب من ألوان الطعام ، وقبالة هذه المائدة سماط ضخم يتسع لخمسمائة مدعو ، وقد نثرت عليه الأزهار والرياحين ، وصف فوقه الأطباق [1] والصحون الحافلة بصنوف الشواء والطيور ، والمترعة بالألوان الفائقة من الحلواء المائعة والطباهجة المشققة؛ ويعمل بدار الفطرة الخلافية قصران من حلوى فى كل واحد سبعة عشر قنطارا فيوضعان فى طرفى السماط ، ويجلس الى ذلك السماط الهائل رجالات الدولة وعظماؤها وذوو الرأى فيها ، فيتناولون من تلك الأطعمة الشهية ما شاءوا ، ويأخذون بأسباب الفرح والسرور ، وعند الظهر ينفض المجلس وينصرف الناس .

هذا وصف سريع يصور لنا كيف كان سلفنا يتخذون من هذا العيد موسماً للبر والخير والإحسان الى الفقراء ، وإن كان فى بعض أعمالهم كثير من الترف والإسراف المنهى عنه . وفقنا الله لإحياء ليالى هذا العيد وأيامه بما يتناسب وهذه المناسبة الدينية السعيدة ، إنه سميع مجيب الدعوات ؟

مكانة الشعر

قال أبو تمام الطائى :

إن القوافى والمساعى لم تزل ... مثل النظام إذا أصاب فريدا
هى جوهر نثر فإن ألفته ... فى الشعر كان قلائداً وعقودا
من أجل ذلك كانت العرب الأولى ... يدعون هذا سؤدداً مجدودا
وتند عندهم العلى إلا علىّ ... جعلت لها غرر القصيد قيودا

---

[1] يروى المقريزى أن هذا السماط كان يشتمل على واحد وعشرين طبقاً فى كل طبق واحد وعشرون ثنياً سمينا مشويا وفى كل من الدجاج والفراريج والحمام ثلثمائة وخمسون طائراً ، ويسد خلل تلك الأطباق بالصحون الخزفية التى فى كل واحد منها سبع دجاجات . . . [خطط جـ ٢ ص ٢٢١]

المجتمع والسياسة

فى الأدب المصرى الحديث

بحث للمستشرق الانجليزى الأستاذ
ج . هيورث I. Heyworth Dunne
الأستاذ بجامعة لندن

نقله إلى العربية
نور الدين شريبة
خريج كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر

اشتمل العهد الذى يقع بين سنة ١٨٨٢ و سنة ١٩١٤ ، على كتّاب عديدين ذوى أهمية ، لا يرجع إلى مؤلفاتهم إلا نادرا : مع أنه يجب أن تدرس دراسة دقيقة إذا أراد المرء أن يعرف معرفة حقة ، كيف كان رد الفعل السياسى والاجتماعى الذى نشأ عن هذا الصدام القوى بالغرب .

ومن بين هؤلاء (سليم النقاش) ، أحد أفراد الجالية السورية ، التى استوطنت مصر ، وحبست مواهبها على خدمة القضية المصرية . وكتابه الضخم (مصر للمصريين) [1] المطبوع سنة ١٨٨٤ لا غنى عنه لمن يكتب عن الناحية السياسية فى هذا العهد . ففيه كثير من المعلومات لا توجد فى غيره : وقليل ممن تصدروا للدفاع عن الفلاح ، فعلوا كما فعل (النقاش) .

ولم يتقدم كاتب كتب عن مشاكل المصريين الدينية ، والسياسية ، والاجتماعية والثقافية ، على جمال الدين الأفغانى ، ومحمد عبده — وقد تحدثنا عنهما عند الكلام على عصر إسماعيل باشا — وكتابتهما فى متناول قارىء (العروة الوثقى) [2] ، وفى الجزء الثانى من تاريخ الشيخ محمد عبده ، الذى جمعه الشيخ رشيد رضا [3] أحد تلاميذه . وللعروة الوثقى مكانة ملحوظة ، وقد طبعت عدة مرات .

---

[١] سليم النقاش : مصر للمصريين : الاسكندرية سنة ١٨٨٤ فى تسعة أجزاء .

[٢] جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده : العروة الوثقى . بيروت سنة ١٩١٠ ، القاهرة سنة ١٩٢٨ ، سنة ١٩٣٣ .

[٣] رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الأمام ٣ مجلدات . القاهرة سنة ١٩٠٨ - ١٩٣١ .

وقد جمع الشيخ على يوسف مقالاته عن هذه المشاكل ، وطبعها سنة ١٨٩٠ ، بعنوان (مختارات المؤيد) [١] وكان على يوسف شخصية سياسية هامة فى عصره ؛ فهو صديق للخديوى ، ورفيق وثيق الصلة بجمال الدين الأفغانى ، ومحمد عبده .

وظهر كذلك ، خلال العقدين الأخيرين ، من القرن التاسع عشر ، عدد كبير من الصحف والنشرات ؛ قام عليها كتاب انغمسوا فى الحياة السياسية السرية فى مصر . وأحد مشاهير هذه المدرسة عبد الله النديم ؛ وقد كان ، فى الحقيقة ، زعيما سياسيا ، ومهيجاً تخشى الحكومة بأسه .

ومن أبرز مؤلفاته (الأستاذ) [٢] وهو وثيقة نادرة عن دراسة مصر . فإذا صرفنا النظر عن عمله السياسى ، وجدنا أنه اشتهر بالشعر والخطابة . وكان أحد رءوس الثورة العرابية العاملين ، ونفى من مصر مرات عديدة ؛ وفى النهاية مات فى القسطنطينية سنة ١٨٩٦ .

واجتمع لهذا العصر حشد من الصحف ، التى تكشف عن مقدرة المصرى الفائقة ، فى تهيئة ذكائه وهجوه لإنشاء الرسائل السياسية . والكثرة الغالبة من هذه الصحف ، وهى جديرة أن تقرأ ، كان ينشرها رجال وهبوا حياتهم للسياسة الهدامة ، وكانوا على استعداد لبذل حياتهم فى ذلك [٣] .

وكتاب محمد عمر (حاضر المصريين) [٤] المطبوع سنة ١٩٠٢ هو لون آخر

---

[١] على يوسف : مختارات المؤيد . القاهرة سنة ١٩٠٦ . وقد أغفل معجم سركيس للمطبوعات العربية هذا الكتاب .

[٢] عبد الله النديم ، الأستاذ ، القاهرة سنة ١٨٩٢ . وللنديم مؤلفات أخرى ، مثل : سلافة النديم ، فى مجلدين ، القاهرة سنة ١٨٩٧ . ، كان ويكون ، القاهرة ١٨٩٢ ، المسامير ، القاهرة ، لم يثبت تاريخ طبعه ، المقالات ، القاهرة سنة ١٩١٠ . وهذه المؤلفات ضرورية لدراسة العهد الكرومرى سنة [١٨٨٧ — ١٩٠٧] .

[٣] وهذه أمثلة قليلة ، ذكر معها تاريخ صدورها : محمد توفيق : حارة منيتى ٢٣ فبراير سنة ١٨٩٨ . محمد النجار ، الأرغول ، أول سبتمبر سنة ١٨٩٤ . حسين توفيق : الأرنب سنة ١٩٠٦ محمد توفيق : الموقوذة ، ٢ مايو سنة ١٩٠٥ محمود حمدى ومحمد هلال الابيارى ، الزمان ، ٧ نوفمبر سنة ١٧٩٨ . غزل البنات ، لا يعلم صاحبها ، فبراير سنة ١٨٩٩ المهدى ، لا يعلم صاحبها ، ٨ يوليو سنة ١٨٩٨ . الفيلسوف ، لا يعلم صاحبها ، ١٠ مايو سنة ١٩٠٤ . عبد الرحمن الهندى ، عفريت الحارة ، ١ مايو سنة ١٩٠٦ .

[٤] محمد عمر . حاضر المصريين . القاهرة سنة ١٩٠٢ .

مكتبتنا العربية

من الدراسة الاجتماعية . والمؤلف يحلل - فى تفصيل - نظام المصريين السياسى، والاجتماعى ، « وأسباب تأخرهم » ، كما يقول المؤلف ، فى تكملة عنوان كتابه . ولا يزال الكتاب يقتبسون الكثير من ملاحظاته ، كما لا تزال الصحف تنشر بعضها . ويبدو أنه واحد من مدرسة المعجبين بأوربا فى مصر . فهناك كتاب فتحى زغلول (سر تقدم الإنجليز السكسونيين) [١] . وكتاب أمين فكرى ، الذى يقع فى ثمانمائة صفحة ، وقد صدر سنة ١٨٩٢ ، بعنوان (إرشاد الألبا الى محاسن أوربا)[٢]. وكان من أشد الناس حماسة لهذه المدرسة ، مصطفى فهمى باشا ناظر النظار فى عهد اللورد كرومر . وقد اشتهر بأنه انجليزى النزعة [٣] .

فاذا تخطينا ذلك الى الجانب اللاهى ، فى الوقت السابق ، على سنة ١٩١٤ ، بدا لنا أن الرواج المتزايد ، مضافا اليه إقصاء المصريين عن النشاط السياسى والاقتصادى فى مصر ، قد ساعدا على الانغماس فى التسليات الاجتماعية .

وقد شهد هذا العصر نمو مدرسة الموسيقى المصرية ، التى بدأها عبده الحامولى ، ونماها تنمية علمية كامل الخلعى ، الذى ألف كتابين عن هذا الموضوع [٤] وقد غذى ذلك بدوره مدرسة من مشاهير الشعراء والمغنين ، تجمع حولها تدريجا مجتمع عكف على تسلية نفسه [٥] . وكان الجانب الأكبر من هذه التسلية ،

---

(١) فتحى باشا زغلول : سر تقدم الانجليز السكسونيين ، القاهرة سنة ١٨٩٧ ، طبعة ثانية سنة ١٩٠٨ .

(٢) أمين باشا فكرى : إرشاد الألبا إلى محاسن أوربا ، القاهرة سنة ١٨٩٧ . ومن مؤلفاته الهامة أيضاً : الآثار الفكرية ، القاهرة سنة ١٨٩٧ .

[٣] اشتهر مصطفى فهمى باشا بأنه انجليزى النزعة ، حتى قيل عنه إنه كان يرسل ملابسه إلى انجلترا كل أسبوع لتكوى فيها ، بواسطة شركة [P. & O. Clteamer] ومما هو جدير بالملاحظة أنه زوج ابنته لسعد زغلول باشا ، أبى الحركة الوطنية فى مصر .

(٤) كامل الخلعى : الموسيقى الشرقية ، القاهرة سنة ١٩٠٤ . نيل الأمانى فى ضروب الأغانى . القاهرة لم يذكر تاريخ طبعه .

(٥) خير المجاميع التى تضم أغانى هذا العصر هو كتابا محمود حمدى البولاقى : المغنى المصرى . القاهرة سنة ١٩٠٤ وطبعات أخرى ، مفرح الجنس اللطيف . القاهرة سنة ١٩٠٤ ، وطبعات أخرى . وكتاب عبد المتعال منصور نزهة العاشق الولهان فى الأغانى والأناشيد والألحان ، فى مجلدين ، طبع القاهرة سنة ١٩٠٩ .

يحدث فى (مسرح ألف ليلة وليلة) ، بيد أن التشجيع الذى أولته كثير من الشخصيات البارزة ، لهؤلاء المغنين ، كان له أظهر الأثر فى تقدم الموسيقى والغناء . ولقد اعتاد قادة المجتمع أن يتسابقوا فى إجزال العطاء للموسيقى أو المغنى . وحسبنا أن نذكر حسن الآلانى ، وذكرياته ـ التى جمعها فى ثلاثة مجلدات ـ عن ملاهى القاهريين ، وحياتهم الليلية ، التى لم يكن يعرفها غير طوائف معينة من المصريين [1] : حسبنا أن نذكره لنعرف مبلغ ما قدمه هؤلاء المكرمون للناحية الأدبية .

كان حسن بوهيمى النزعة ، جمع حوله (الكتاب ، Sitterateurs) و (الشعراء الأدباتية) وأرباب الملح ، وهلم جرا .

وكان لهم ناديهم الخاص ، خلف دار الكتب المصرية (الكتبخانة) الذى كان يسمى ، فى شىء من الدعابة والاستفزاز (المزاج خانة) .

ومن بين أصدقاء حسن المقربين ، محمد البابلى ، أحد مشاهير أرباب الملح فى مصر . وقد طبع أحد أبنائه مجموعه [2] تضم نوادره . كما كان من بين أصدقائه محمد رشاد ؛ ومحمد الموبلحى ، والشاعر الشهير حافظ ابراهيم . وهؤلاء جميعا قد ابتدعوا طريقة فى نطق العربية ، طبعها الزعيم الوطنى سعد زغلول باشا .

وهناك نوع آخر من الأدب، كثيرا ما أهمل شأنه : وهو ، من بعض الوجوه ، دراسة خاصة : إذ أنه كتب فى لغة عامية ، ذلك هو الزجل ، الذى يحوى ما هو جدير بالمصريين من عبقرية ، وحب نادرة ، وسحر . وهذه المدرسة هامة من الناحية الاجتماعية ، أهميتها من الناحية اللغوية . فعن طريق هذا الأدب يستطيع المرء أن يعرف فلسفة الشعب معرفة دقيقة : فليس هناك مرآة أصدق من مرآة الزجل . وعزت صقر ، مثلا ، يصور الحياة الاجتماعية والسياسية حتى الحرب العالمية الأولى . ولغته مثيرة ، ولكن الجميع يفهمونها ويحبونها . وصورته

---

(١) حسن الآلانى : تروح النفوس ومضحك العبوس ، ثلاث مجلدات ، القاهرة سنة ١٨٨٩ - سنة ١٨٩٢ .

(٢) محمد البابلى : البابلى ، القاهرة سنة ١٩٦٣ .

عن الحياة فى منطقة الأزبكية بالقاهرة صورة صادقة ؛ وقد كانت الأزبكية حينئذ مركز المقاهى والحانات وحياة الليل . فلما وقعت حادثة دنشواى سنة ١٩٠٦ ، وجه زجلا إلى اللورد كرومر Eord Cromer) يعتبر نموذجا لذلك الضرب من الأدب ، يستطيع الإنسان أن يدرك منها رغبة المصرى فى تعزية نفسه بهذا الضرب من الشعر : ما دام محروما من حريته السياسية . فهذا الشعر ، عنده على الأقل ، يضعه على قدم المساواة مع كرومر العظيم ! وله زجل آخر يوجهه إلى بنى إسرائيل ، وآخر عن الحرب الروسية اليابانية : وآخر عن الطيارين الأتراك ، الذين أسقطهم البريطانيون . وديوانه [1] جدير أن يدرس ، لما يفيضه من لذة ، ولوصفه الحياة المصرية [2] .

فأما العهد الذى ولى الحرب العظمى الأولى ، فقد حفل بمادة جديدة للدراسة . وكان ظهور مدرسة جديدة ، من مؤلفى الروايات والأقاصيص — وهيكل طليعتهم — ذو أهمية خاصة . وقد ظهرت أولى قصصه (زينب) [3] سنة ١٩١٤ ، ولكنه لم يجرؤ - أول الأمر - أن يعلن أنه مؤلفها ، لأن الوسط الجديد كان فى طور التجربة . وعالج هيكل كثيرا من المشكلات المتصلة باستعمال العربية الدارجة للتعبير عن الحوار المكتوب .

والمازنى مؤلف آخر من مؤلفى هذا العصر . وقصته (إبراهيم الكاتب [4]) ثورة مدعمة على استعمال العامية . وإذا كان هيكل يمدنا بدراسة اجتماعية قيمة عن الحياة فى الأوساط الريفية ، فإن المازنى يصف المجامع الأدبية والفكرية ، التى كان يحيا فيها ؟

---

(١) عزت صقر : ديوان ، القاهرة سنة ١٩٣٣ .

(٢) وتضم هذه المدرسة مؤلفين آخرين ، ومؤلفات أخرى ، مثل عثمان جلال : الأربع روايات ، القاهرة سنة ١٨٩٠ ، وله غير ذلك تسع مؤلفات فى الأدب ، والمترجمات ، والدواوين الزجلية . محمد النجار ، ولم تجمع أزجاله الشهيرة فى ديوان . حفنى ناصف ، تاريخ الأدب ، القاهرة سنة ١٩١٠ . محمد باشا صدقى ، وأشعاره مبعثرة فى الصحف والمجلات . محمد توفيق (أنظر ما كتب عنه من قبل) . إمام العبد ، الذى لم تجمع مؤلفاته . سيد درويش ، وكثير من أغانيه موجودة فى دواوين مختلفة .

(٣) محمد حسين هيكل : زينب ؛ القاهرة سنة ١٩١٤ ، القاهرة ١٩٢٩ طبعة ثانية ، وله كذلك : فى أوقات الفراغ ، القاهرة سنة ١٩٢٥ .

(٤) ابراهيم عبد القادر المازنى : ابراهيم الكاتب ، القاهرة سنة ١٩٣٠ ، وله كذلك « صندوق الدنيا » القاهرة سنة ١٩٢٩ .

الوساطة الروحيـة

بين يدى كتاب يُدعى (الوساطة الروحية) لو ظهر فى أمة تعنى بالبحوث الجديدة ، وتهتم بما يصدر فيها قيما غير ذى عوج ، لنفدت طبعته الأولى فى أيام ، ثم تلاها غيرها متتابعة مرات كثيرة ، لما اشتمل عليه من جديد المباحث ، وطريف المطالب ، وما فتح فيه للعقول من مجالات مجهولة للنظر ، ومواطن خفية للحقائق العليا . فهذا النوع من المؤلفات ، وخاصة إذا لم يكن لواضعيها اتصالات صحفية ، يبقى مجهولا فى بلادنا لا يلتفت إليه أحد ، وإذا نُوه به كان ذلك فى عبارات تشف عن عدم الاطلاع على موضوعه ، فيتلاشى كل ما قيل فيه ولا يعلق منه شىء بالأذهان .

إن الفتوحات الروحية التى ظهرت فى سنة (١٨٤٦) فى أمريكا ثم ما لبثت أن انتقلت منها إلى أوربا ، لا تزال موضع اهتمام العلماء والباحثين إلى اليوم ، بل تضاعف الاهتمام بها إلى حد لم يسبق له مثيل لأى موضوع علمى آخر ، لأنه يتعلق بالشخصية الانسانية وما ينتظرها بعد موت الجسد ، وللناس الحق فى الاهتمام بها إلى هذا الحد ، بل لأكثر منه ، نظرا لتعلقها بالبقاء بعد الموت بقاء غير محدود .

إن أوربا اليوم تدعى أنها كما وصلت إلى كشف مجاهل العالم الأرضى ، فلم يبق فيه موطىء لقدم مجهولا ، أنجحت كذلك بعد محاولات مجهدة فى سنين كثيرة ، فى الاتصال بعالم الروح ، فأمكن التخاطب بين الموتى والأحياء ، أولا بالطرق والاتفاق على أسلوب التفاهم به ، ثم بواسطة وسيط من البشر تستولى على أداة صوته فتتكلم به بينما يكون هو فى غيبوبة ، وفى هذه الحالة يجىء صوتها كصوته لوحدة الأداة الصوتية ، ثم توصلت لإعطاء صوتها بواسطة حنجرة تصنعها من المادة الكونية للضرورة الوقتية فيجىء صوتها على ما عهده الناس لم يتغير . وجريا على هذا الترقى تأتى أرواح فتكلم الناس فى الراديو مسمعة صوتها للعالم كله فيعرفها من كان يعرفها به . وقد أعلن اليوم فى الأهرام أن جمعية البحوث الروحية المصرية ستقوم بعمل هذه التجربة فى الراديو المصرى فيسمع الناس أصواتا يعرفونها لموتاهم ، وفى ذلك ثقة روحية لاتقدر فى جلالة ثمراتها الأدبية .

أعود لحديث الكتاب الذى بين يدى ، فأقول : هو كتاب يقع فى أربعمائة وثلاثين صفحة بالقطع المتوسط وبالحرف الصغير ، تناول موضوع المباحث الروحية من أول نشوئها فوفاها حقها من التفصيل والتمحيص ، ثم أخذ ينتقل من دور الى دور لتلك المباحث حتى أتى عليها جميعا فى بيان رائع ، ودقة علمية ، يحوط ذلك كله رفق بالقارىء ، وشعور بما تتطلبه طبيعته من الدلالات العلمية والتجريبية فيؤتيه بها خلاصات سائغة ، ومصاصات صافية . وقد اضطرنى حسن تبويب هذا الكتاب ، أنا الذى قرأت فى موضوعه عشرات من الكتب غير مئات من الرسائل والمقالات ، الى قراءته كله ، وهى مقدرة كتابية وتأليفية لم نعهدها كثيرا فى مؤلفاتنا العربية . والذى زادنى إعجابا بهذا الكتاب أنه لم يترك وجها من وجوه الدفاع ، ولا لونا من ألوان التدليل ، إلا أتى به فى أحسن قالب وأوجهه ، ثقة من مؤلفه أن العبرة بالبرهان القاطع لا بالثرثرة بالأقوال المعادة .

إن كاتب هذا الكتاب يقول إنه كتبه بهداية بعض الأرواح العليا له ، وإنهم كانوا ينقحونه له ، أما هو نفسه فلا يستطيع أن يكتب فصلا واحدا منه . أما شهادتى أنا للكتاب فى جملته فهى أنه يصح أن يكون مفخرة لعالم عظيم من علماء هذا العصر . أما اسم الذى كتب اسمه عليه فهو حضرة عبد اللطيف أفندى محمد الدمياطى رقم ١٩ بخان الخليلى .

وأكثر ما أعجبنى فى هذا الكتاب تلخيصه سريان الحركة الروحية فى الأوساط العلمية من لدن الأساتذة (هير) و (ميبس) والمشترع الكبير ادموندس رئيس الكونجرس الأمريكى ، الى أيامنا هذه فى انجلترة وأمريكا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا وسائر ممالك أوروبا . وقد تتبعت فيه هذه الحركة تتبعا استقرائيا فوجدت الكتاب قد وفاها حقها الى درجة توجب الإعجاب والإكبار .

بلى هذا فى القيمة العلمية للكتاب ما نشره عن الطب الروحانى ، والعلاج النفسانى ، فإنه من خير ما يكشف للقارىء علاقة الروح بالجسم ، وخضوع الأمراض للإشعاعات الروحية . وقد أتى المؤلف على عدد من كبار المعالجين الروحيين ، وما قاموا به لخير البشرية ، واعتراف الحكومة بذلك وتقديرها له .

فهرس

المجلد العشرين

(لسنة ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م)

الموضوع	بقلم	صفحة
(أ)		
آيتان	فضيلة الأستاذ محمد المدنى	٧٨٧
الابتداع	« « حسن المشد	٧٤٨
إبراهيم محمد السيد نجا	« « عبدالجواد رمضان	٢٦
ابن حزم	« « عبد الله المراغى	٢٢٦
أبو ذر الغفارى	« « أبو الوفا المراغى	٤١
أبو طالب	« « عبد الحميد المسلوت	٨٢ ، ٣٦٤
أبو الأنبياء	« « محمد المدنى	٦٠٠ ، ٦٩٣
أحاديث الأستاذ الأكبر	... ...	٤٨١ ، ٥٧٧ ، ٦٧٣ ، ٧٦٩
احتفال الأزهر بالعام الهجرى ...	... ...	
كلمة الأستاذ الأكبر	... ...	٥
احتفال الأزهر بذكرى الملك فؤاد	... ...	
كلمة فضيلة وكيل الأزهر ...	... ...	٦٧٦
اختلاف الرأى لا يبرر الجريمة ...	فضيلة الأستاذ محمد عبدالتواب	٤٥٥
أخلاق المصطفى	« « « «	٢٦١
أخلاق الرسول - نواحى الإعجاز فيها	« « أحمد شاهين	١٥٥
الإخلاص	« « عبد الرحيم العدوى	١٠٥
أداء الواجب	« « محمد كامل الفقى	٨٤٦
الإرادة الإنسانية	دكتور محمد والى خان	٥٨

الموضوع	بقلم	صفحة
الأربعينيات ـ جمعها	فضيلة الأستاذ فكرى ياسين	٢١٥
الأزهر وفجر النهضة القومية	حضرة الأستاذ أحمد عز الدين	٩٤٥
أساليب الوعظ	فضيلة الأستاذ ابراهيم أبو الخشب	٥٥١
الاستواء على العرش	لجنة الفتوى	١٤٥
الإسراء والمعراج	فضيلة الأستاذ فكرى ياسين	٥٩٣
أسرار القرآن الكريم	« « أحمد الشرباصى	١٦٣
أسرار الفصل والوصل	« « أحمد محمد سلمو	٧٨
الإسلام والمسلمون	« « محمد المدنى	٣١٠ ، ٤١٨
الإسلام والرق	حضرة الأستاذ عبد المنعم الصايغ	٦٦٦
الاعتراف بالجميل	فضيلة الأستاذ عبد الرحيم العدوى	٣٦
إعجاز القرآن	« « السيد «	٧١٦
الإعلان عن السلعة	« « إبراهيم أبو الخشب	٣٦٩
الالتزامات وأنواعها	« « صالح بكير	٤٧٢
الإلحاد ـــ هل فيه مادة للبقاء ؟	حضرة صاحب العزة مدير المجلة	٨٨١
الأمانة العلمية	فضيلة الأستاذ أبو الوفا المراغى	٦١٤
الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر	« « على عبد المنعم	٩٣١
إن من البيان لسحرا	« « فكرى ياسين	٤٩٦
إيساغوجى	الدكتور أحمد فؤاد الاهوانى	٩٢٣
(ب)		
البعوث فى الإسلام	فضيلة الأستاذ طه الساكت	١٣
البغاء ـــ إلغاؤه	... ...	٣٨٩
كلمة فضيلة الأستاذ الأكبر ...	... ...	
بلاغة الرسول	فضيلة الأستاذ عبد الحميد المسلوت	٦٣٦
بيان مشيخة الأزهر فى جريمة الاغتيال	... ...	٢٥٨
البينة واليمين	فضيلة الأستاذ فكرى ياسين	٦٨٤

الموضوع	بقلم	صفحة
(ت)		
تحويل القبلة	فضيلة الأستاذ الطيب النجار	١١١،١٦ ٣٢٠،٢٢١
التطوع للجهاد فى فلسطين	فتوى دار الإفتاء	٦٥
التعويض فى الفقه	فضيلة الأستاذ صالح بكير	٦٤٦
تفسير القرآن	« « إبراهيم أبو الخشب	٨٤٩
تفسير الكشاف	« « محمود النواوى	٢٤٨، ٥٤١
تفسير سورة البينة	« « عبد الرحيم فرغل	٣٣٧
تفسير سورة الليل	« « « «	٥١٣، ٦١٨
تفسير سورة الأعلى	« « « «	٧٠٤
التقوى والتوكل	« « حسن حسين	٤٣٦
(ج)		
جارة الغار	فضيلة الأستاذ كامل عجلان	١٦٧
الجزار الشاعر المصرى	« « يوسف البيومى	٨٥٢
جورج ولهلم هيجل	دكتور أحمد فؤاد الأهوانى	٤٤٢، ٦٥٠
(ح)		
حديث الفطرة — عود إليه ...	فضيلة الأستاذ محمد المدنى	١٣٠
الحديث الدينى	حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر	٨٦٥
الحديث الدينى	« « « وكيل الأزهر	٨٧١
الحديث — منزلته فى الإسلام ...	« « فكرى ياسين	٣٠٣
الحضارة البشرية	« « عبد المنعم خفاجى	٥٧١
حقوق الدائن قبل المدين	« « صالح بكير	٣٧٧
حياتنا — قصيدة	« « « السيد »	٤٤٨

الموضوع	بقلم	صفحة
الحياة الإنسانية	فضيلة الأستاذ عبد المنعم خفاجى	١٧٧
الحياة لا ينبغى أن تضيع	« « منصور رجب	٢٦٨
حيرة العالم	« « أبو الوفا المراغى	٤٦٩، ٥٣٦
(خ)		
خصائص الالتزام	فضيلة الأستاذ صالح بكير	٢٦٤
خطبة فى حجة	« « فكرى ياسين	٨٨٥
الخوف والحزم	« « محمد المدنى	٥٠٢
(د)		
الدجوى — ذكرى	فضيلة الأستاذ أحمد الدجوى	٧٦٦
دعائم الاستقرار فى التشريع القرآنى	« « محمد المدنى	٢٠
دور انتقال على خطير	حضرة صاحب العزة مدير المجلة	٤٨٤
دين الله الإسلام	حضرة الأستاذ نظام الدين عبد الحميد	٩٣٨
الدين والدولة	فضيلة الأستاذ عبد الرحمن تاج	٥١٩
(ر)		
الرجل العالمى — من هو منهما ...	حضرة صاحب العزة مدير المجلة	١٩٣
الرجولة فى الدين	فضيلة الأستاذ ابراهيم أبو الخشب	٧٤٥
الرحمة	« « عبد الرحيم العدوى	٣١٤
الرضا بالقضاء والقدر	« « على رفاعى	٧٠
الرقة والجزالة	حضرة الأستاذ السيد العنانى	٨٣٥
الركن الشرعى للجريمة	« « أحمد محمد إبراهيم	١٣٤، ٦٢٠
الروح - ثبوتها علميا	حضرة صاحب العزة مدير المجلة	٣٩٢
الرياسة الدينية	فضيلة الأستاذ منصور رجب	٦٢٥

الموضوع	بقلم	صفحة
(س)		
سلطان القرآن	فضيلة الأستاذ إبراهيم أبو الخشب	٦٣٣
سياسة المنزل	« « أبو الوفا المراغى	٩١٦
سياسة القول	« « كامل عجلان	٩٣٥
السيد حسن القاياتى	« « عبد العزيز البشرى	٣٦٠
السيد الجرجانى	« « على محمد حسن	١٢٣
السيرة النبوية ـ كيف تكتب ...	« « « السيد »	٢٧٥
السيرة النبوية ـ حول مقال	« « محمد النجار	٥٣٥
(ش)		
الشركة فى المواشى ـ فتوى	لجنة الفتوى	٢٥٢
الشريعة والقانون	فضيلة الأستاذ عبد اللطيف السبكى	٣٢٦ ، ٤٢٢ ، ٥٠٨ ، ٦٠٤ ، ٧٩١ ، ٨٩٦
شعراء الأزهر	« « عبد الجواد رمضان	٢٦ ، ٥٤٠
الشعر والإسلام	« « « «	٧٢٠
الشعر البدوى والحضرى	« « حامد عونى	٧٣٣
الشعر فى العهد الأيوبى	« « رياض هلال	١٧٣
(ص)		
الصراع بين الواجب والعاطفة ...	فضيلة الأستاذ احمد شاهين	٣٧٢
صلاة الجمعة بواحد مع الإمام ...	لجنة الفتوى	٤٦٨
الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم	« «	١٤٥
(ط)		
طرائف القرآن	فضيلة الأستاذ عبد الغنى الراجحى	١٤٩ ، ٦٢٩ ، ٨١٣
طرق البخارى ـ جمعها	حضرة الأستاذ فؤاد عبدالباقى	١٨٢
طهارة العرض	فضيلة الأستاذ إبراهيم أبو الخشب	٢٧٢

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الموضوع	بقلم	صفحة
(ع)		
العالم ينشد النهايات المطلقة ...	حضرة صاحب العزة مدير المجلة	٢٩٢
العدالة — مقوماتها	فضيلة الأستاذ احمد شاهين	٦٦٠
العدالة فى الإسلام	« « احمد على منصور	١٦٩
العصر العظيم	حضرة الأستاذ عمر طلعت زهران	٧٤ ، ١٨٦ ، ٢٨١ ، ٥٦٣ ، ٨٥٦
عضد الدين الايجى	فضيلة الأستاذ على محمد حسن	٣٥١
علماء الأزهر — نظرهم إلى الشعر	« « محمد كامل الفقى	٢٨١
العلماء سفراء وقادة	« « محمود الشرقاوى	٥٤ ، ٤٤٩
العلم والإلحاد	حضرة صاحب العزة مدير المجلة	٦٨٠
العلوم الإسلامية التقليدية	حضرة الأستاذ حسين الهمدانى	٥٥٤
عيد الجلوس الملكى	... ...	٦٧٣
عيد الجلوس الملكى	... ...	
كلمة فضيلة وكيل الأزهر	... ...	٧٧٣
عيد الفطر فى الاسلام	حضرة الأستاذ احمد صلاح الدين	٩٥٠
عيد الميلاد الملكى	... ...	
كلمة فضيلة الأستاذ الأكبر ...	... ...	٣٨٥
(ف)		
فاتحة السنة العشرين	حضرة صاحب العزة مدير المجلة	٣
فلسفة	فضيلة الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى	٧٢٧ ، ٨٠٩ ، ٩٠٧
فلسفة القرآن والحياة الآخرة ...	« « محمد يوسف الشيخ	٣٢ ، ٢٣٨
(ق)		
القصص القرآنى ـ مقاصده	فضيلة الأستاذ الطيب النجار	٤٣٠ ، ٦٩٨ ، ٩٠١
قواعد بلا شواهد	« « على حسن العمارى	٨٢٨

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الموضوع	بقلم	صفحة
(ك)		
كافحوا الفقر	فضيلة الأستاذ فهيم سالم المليجى	١٥٩ ، ٥٦٦
الكتاب والميزان	« « محمد المدنى	٨٩١
كف الأذى	« « محمد عبد التواب	٨٤٠
(ل)		
لغويات	فضيلة الأستاذ محمد على النجار	٣٤٧ ، ٥٢٩ ، ٨٠٣ ، ٩١١
ليلة القدر	« « فكرى ياسين	٧٨٢
(م)		
الماديون وتعليل الموجودات ...	حضرة صاحب العزة مدير المجلة	٨٥٠
الماديون يتخبطون فى فلسفتهم ...	« « «	٧٧٨
المجاز والكناية فى كتاب الله ...	فضيلة الأستاذ حامد محيسن	٢٩٦ ، ٣٩٦ ، ٤٨٨ ، ٥٨٤
المجاز والكناية فى كتاب الله ...	« « محمد محمد البحيرى	٤٩٢ ، ٥٨٨ ، ٧١١
المجاز والكناية فى القرآن ...	« « محمود النواوى	٨٢١
المجتمع والسياسة	« « نورالدين شريبة	٧٥٥ ، ٩٥٤
المحتسب فى الدولة الفاطمية ...	دكتور عطيه مصطفى مشرفة	٤٢٧ ، ٥٢٦ ، ٧٥٢
محمد رسول الله	فضيلة الأستاذ حسن حسين	١٩٧
محمد رسول الله	« « عبد السلام سرحان	٢٧٨
محمد رسول الله	حضرة الأستاذ عبدالمنعم الصايغ	٨٥٩
محمد المرتضى الزبيدى	فضيلة الأستاذ منصور رجب	٥٤٦
مدرسة النقد الأدبى	« « عبد السلام سرحان	٨٧ ، ٧٦١
المدن الفاضلة	حضرة الأستاذ سعيد زايد	٤٧٤
المرأة الصالحة لها الجنة	فضيلة الأستاذ كامل عجلان	٥٦٠
مسألة ميراثية	لجنة الفتوى	٦٥٧
مسئولية الأطباء	دكتور أحمد محمد ابراهيم	٤٦ ، ٢٤٣ ، ٣٣٤
مسئولية الأطباء	فضيلة الأستاذ عبدالعزيز المراغى	٢٠٦ ، ٤٠٧ ، ٦٩٠
مسئولية الأطباء	« « محمد على النجار	٥٠

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الموضوع	بقلم	صفحة
المسئولية الأدبية	« « منصور رجب	١١٦
المسلمون فى المعترك العالمى	حضرة صاحب العزة مدير المجلة	١٠١
المعاملات فى الشريعة الإسلامية ...	فضيلة الأستاذ صالح بكير	٦٠
معترك الفلسفات	حضرة صاحب العزة مدير المجلة	٩
المعرض والأزهر	فضيلة الأستاذ أبو الوفا المراغى	٧٣٧
معهد جديد فى المنصورة	... ...	
كلمة فضيلة الأستاذ الأكبر	... ...	٩٧
المصلح الاجتماعى	فضيلة الأستاذ ابراهيم أبو الخشب	١٤٣
مقاصد القرآن - تشابهها	فضيلة الأستاذ عبد المتعال الصعيدى	٦٦
المقياس الأدبى للشاعر	« « حامد عونى	١٣١
من أين لك هذا	« « عبد المنعم النمر	١٣٨
من ذكرياتى فى الأزهر	« « منصور رجب	٨٤٣
من هدى النبوة	« « فكرى ياسين	٤٠١
موقف المشركين من القرآن	« « عبد الرحيم العدوى	٦٠٩
المولد النبوى الكريم	« « محمد حسن درويش	٤٥٩
ميراث القاتل خطأ	لجنة الفتوى	٤٦٥
ميراث القاتل	دكتور احمد محمد إبراهيم	٧٣٠ ، ٧٩٧
ميلاد الرسول	... ...	
كلمة فضيلة الأستاذ الأكبر	... ...	٢٨٩
الميلاد المحمدى	فضيلة الأستاذ أبو الوفا المراغى	٣٣١
(ن)		
نظرية السببية	فضيلة الأستاذ سليمان دنيا	٢٣٠
نقل الدم وحاسة البصر	لجنة الفتوى	٧٤٢
نوادر المخطوطات	« « أبو الوفا المراغى	٨١٨
(ى)		
اليد العليا	فضيلة الأستاذ إبراهيم أبو الخشب	٩٢٠

مكتبتنا العربية

فهرس

الجزء العاشر — المجلد العشرون

الموضوع	بقلم	صفحة
الحديث الديني	« حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر	٨٦٥
الحديث الديني	« « « وكيل الأزهر	٨٧١
هل في الإلحاد مادة للبقاء ...	« حضرة صاحب العزة مدير المجلة ...	٨٨١
خطبة في حجة	« فضيلة الأستاذ فكري ياسين	٨٨٥
الكتاب والميزان	« « محمد المدني	٨٩١
نظرات في توثيق المعاملات المالية	« « عبد اللطيف السبكي	٨٩٦
مقاصد القصص القرآني	« « الطيب النجار ...	٩٠١
قصة	« دكتور محمد يوسف موسى	٩٠٧
نسويات	« فضيلة الأستاذ محمد النجار ...	٩١١
سياسة النزل	« « أبو الوفا المراغي ...	٩١٦
اليد العليا	« « ابراهيم أبو الخشب ...	٩٢٠
إيسانوجي	« دكتور احمد فؤاد الإهواني	٩٢٣
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	« فضيلة الأستاذ علي عبد المنعم ...	٩٣١
سياسة القول	« « كامل عجلان	٩٣٥
دين الله الاسلام منبع الشرائع	« الأستاذ نظام الدين عبد الحميد	٩٣٨
الأزهر وفجر النهضة القومية	« حضرة الأستاذ احمد عزالدين	٩٤٥
عيد الفطر في الاسلام	« « احمد صلاح الدين عبد الرحمن	٩٥٠
المجتمع والسياسة في الأدب المصري	« « نور الدين شريبة ...	٩٥٤
تقاريظ	«	٩٥٩